انتقام عفريت

مجموعة قصصية لـ..

صبري عطافي

العنوان: انتقام عفريت
الصنف: مجموعة قصصية
المؤلف: صبري عطافي
إعداد: م. هالة محمود
مراجعة: النوارس
تصميم غلاف: م. أمير عبد الوهاب
مقاسات الكتاب: 14*21
عدد صفحات الكتاب: 100
طبعة أولى: 2019
الناشر: النوارس للدعاية والنشر
رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية: 2019/19342

الإسكندرية 19 ش الحرية تقاطع الظاهر بيبرس
مركز النوارس الثقافي
ت: 01014093883 / 01211999089
Elnwares.advertising@gmail.com
للتواصل على فيس بوك
/https://www.facebook.com/groups/322676661399274

لا يسمح بطباعة هذا الكتاب أو تصويره أو نسخه بأي طريقة ورقية أو إلكترونية
إلا بإذن خطي ومسبق من المؤلف..

الإهداء

إهداء لمن حملتني بين ذراعيها
وأعطتني الحنان حتى صرت إنسان
إلى ست الحبايب التي ذاب قلبي
إلى كل صديق صدوق أعانني
وشجعني على الاستمرار
إلى من جعلتني أكتب في عينيها
ورقة مشاعرها
إلى من أحيت بداخلي الحب والإحساس
إلى من أحبتني وأحببتُها
وبجمال الكلمات والصفات وصفتُها
إلى بلدي الحرة الأم الحنون
التي أحبها مهما تعذبت
وتعجبت من وضعها لكن..
إذا طلبتني أجبت وزاد في قلبي حبها

التعريف بالكاتب

شاعر عامية زجل وخواطر
فـ رص الكلام شاطر
بكتب فـ كل المواقف
مع القلم
وبين السطور عاكف
أوصف حزني وفرحي
جرحي ومرحي
أوصف الهجر بألوانه
والحب بأشجانه
أسبح بين شواطئ الغرام
وأطير بين القلوب
وأقطف من زهورها
واستنشق من عبيرها
تسمعني أغنيلها بكل الكلمات
أكتب فـ كل الحالات
عن الحب والشوق
عن الآهات
بحب العزف عـ الناي
والنحت على الجداريات ومثال
شاعر بالفطرة
أكتب كل ما أحسه وما أشعر به شعرا كان أو نثرا أو خواطر
وأترك التقيم للأصدقاء وأرضى بالنقض البناء وأتعلم منه
وأحب من يوجهني وينصحني للأفضل.

المقدمة

المصطلح في أي من العلوم هو: كلمة تختزل فكرة أو مفهوما أو نظرية، بينما في الأدب نزيد على ذلك أنه تعبير عن انتماء لاتجاه فكري أو علمي محدد، ففي البلاغة العربية مثلا هناك مصطلح "العدول" الذي يدل على مصطلح آخر "الانزياح" الأسلوبي، وبالتالي يجوز استخدام هذا أو ذاك، ففي الغرب يعد مصطلح "الروي، الراوي، المروي له" لا تستخدم، وأصبح بدلا منهم "السرد، والسارد، والمسرود له"، وهذا التغيير يرجع إلى نظرية الكولونيالية" والتي أصدق تفسير لها "المغلوب مولع بإتباع الغالب"، ولكن في نفس الوقت معنى هذا التغيير أن الغرب لم يعد يصنف الأعمال السردية إلى قصة، رواية، نوفيلا "قصة طويلة أو رواية

قصيرة"، مسرحية، وعدو كل هذا سرد، والمتسبب في هذا الانقلاب الاصطلاحي هو "باختين" بعد أن عد الكرونوتوب "الزمكانية" مركزية في بنية السرد، وفي الترجمة العربية استعمل أ. عبد الستار جواد كلمة "الراوي" وهي تعني عند الغرب "السارد"، ومن هنا أرى أن المسألة لابد أن تكون محكومة بنظرية "زاوية النظر" التي وضعها "هنري جيمس" في مقالته الشهيرة"The Art Of Fiction" عام 1884، وهذا المصطلح عد المؤلف هو الذي يروي القصة أو الرواية، إلى أن تتدخل الجامعات العربية وتنشئ لنا مصطلحاتنا الخاصة وتخرجنا من هذه الفوضى، سأعد أ. صبري عطافي راوي أو حكاء، حيث أن ما كتبه هنا عبارة عن حكايات حدث منها الكثير في الحياة العادية المحيطة به، وقد سرد الحكاية بطريقة

المتتالية، أي أن حدث يليه حدث وهكذا حتى يصل لنهاية القصة، وهذه الطريقة ما افتقرت إلى الحوار سواء بجمل قصيرة أو طويلة، والحوار يعد من الأشياء التي يكمن فيها إثارة السرد، ومنه يتم دفعنا إلى كشف طبيعة الحدث وطبيعة الحدث وطبيعة الشخصيات، وصل سرد أ. صبري عطافي إلى درجة الكلام المحكي، واقترب كثيرا من دور الراوي الحكاء الذي يحكي ما يدور في الحياة الاجتماعية، فأدخلنا في الحدث والشخصيات منذ أول وهلة، وجلس على مقعد حكاء القرية أو الراوي الشعبي، وفعل ذلك بجدارة، لأنه أجاد الأداء الأسلوبي للرواة الشعبيين أو الريفيين، وكأنه يمثل الامتداد لهؤلاء بعدما غطى عليهم كثرة القنوات التليفزيونية، ففي قصته الأولى، قصة "عشقاك" التي بين فيها التغيير الكبير الذي حدث في تربية الريف

لبناتهم ومدى سوء التصرف الذي يعد كارثة أخلاقية، كيف كانت الفتاة متهورة في تصرفاتها لدرجة دخولها لبيت من ظنت أنها تحبه، وهي تعلم علم اليقين بأنه في البيت وحده، وكيفية إصرارها على تسليم أغلى ما لديها غير مكترثة بعادات وتقاليد قريتها، ثم يأتي الانتقام الرباني الذي يضعها في أسوأ ظروف ممكن أن تمر ببشر.. ينتقل بنا إلى القصة الثانية التي أعدها عبارة عن أداة جراحية فتحت الجرح الممتلئ جراثيم ألا وهو أطفال الشوارع ومن أين يأتون وكيف، ففي قصة "ابن المحطة" بين لنا كيف لطفل من أطفال الشوارع أن يطبق العدل في التخلص ممن يخلطون الأنساب، ويحطمون مجتمعنا الإسلامي المبني على الطهارة والعفة، وكيف وقف أمام القاضي مفتخرا بما فعله وليس نادما عليه.

ثم بطريقة سلسلة سهلة بين لنا من خلال قصة "حكاية فلاح" الفرق بين الريف ذات يوم مر وفات والريف حاليا بكل ما به من سيئات، من خلال رجل وامرأة عاشا في الريف معززين مكرمين، إلى أن تغير الزمان وأصبحت الفلاحة لا تأتي بهمها، ولا تعينه على تعليم أولاده، وتزويج بناته، فعمل بوابا لمبنى سكني، وقابل من الإهانات الكثير وتحمل إلى أن مات كمدا.

كتب الراوي أ. صبري عطافي في عدة مجالات تخص المجتمع المحيط بنا وخاصة مجتمع الريف، أبدع في اختيار موضوعات قصصه، وتطرق لموضوع هام ألا وهو "هل هناك علاقة تحدث بين الجن والإنس"، فهناك من يؤكدها وهناك من ينفيها بدلائل دينية وعلمية، في القصة التي كتب اسمها على الكتاب "انتقام عفريت"و"عشقتني جنية"و"الجن العاشق"

وترك في نهايتها الباب مفتوحا فهناك من سيصدقها وهناك من سيكذبها ويعدها من الخرافات.

غاص بنا في قضايا إنسانية قديمة ومعاصرة، أدخلتنا في النفس البشرية حتى العمق، رغم أنه اتبع أسلوب التنقل المفاجئ بين الأحداث دون الدخول في تفاصيل كثيرة، لكن بعث هذا في القصص الحركة والنشاط، ولم يثقل على القارئ بحدة اللغة فالقصص موجهة في النهاية للقارئ العادي وعامة الناس وليس لعلماء النفس مثلا أو الفلاسفة ولا حتى للنقاد، فكانت لغته عادية وسلسة. تحياتي للراوي صبري عطافي وإلى مزيد من الأعمال إن شاء الله...

الأديبة هالة محمود
رئيس مجلس إدارة
النوارس للدعاية والنشر
عضو اتحاد كتاب مصر

عشقاك

في شرفة بيته يقف شاب مغتراً بوسامته، كلما مرت فتاة يصدر ضجيج ليلفت نظرها إليه، عندما تنظر إليه يبتسم بمكر ودهاء ويغمز بعينه لها فتذوب عشقا فيه..

ذات يوم مرت فتاة قريبة له من بعيد، شديدة الحسن والجمال رشيقة القوام ملفوفة الخصر، فعل معها نفس الحركة التي يفعلها مع الجميع، نظرت إليه وابتسمت ثم ألقت إليه السلام

- كيف حالك يا ابن الخال.

- جيد كيف حالك أنتِ.

- جيدة بوجودك عزيزي.

ذهبت في طريقها حيث كانت تعمل في مصنع ملابس، قريبا من بيت الشاب، وطريق مرورها من أمام بيته.. باتت ليلها وقلبها وعقلها يفكران في ذلك القريب، تريد أن تراه بأي وسيلة..

استيقظت باكرا وأسرعت للمضي إلى عملها لتمر من أمام بيته فلم تجده واقفا في شرفته، كانت كل يوم تحمل طعامها لتأكل في العمل لكن هذا اليوم أرادت أن تذهب وقت الغداء الي بيتها لتمر من أمام بيته لعلها تراه..

- هيا يافتيات وقت الغداء من تريد الغداء في بيتها أمامنا ساعة واحدة

تخرج مسرعة مهرولة حتى تتعرق، ثم تقف أمام بيت الشاب

تطرق الباب.. يفتح..

- هل أحد من الأسرة هنا.؟

- لا تفضلي

- جيد أريد ماء إني أشعر بالعطش

- حاضر

يدخل ليأتي بالماء تدخل خلفة وتغلق باب البيت..

- لماذا اغلقتِ الباب؟

- لأني لن أذهب إلى البيت، وأريد أن أمضي وقت الغداء معك

- لكن.. ماذا لو رآكِ أحد؟!

- لا يهم.. أنا في بيت خالي وانتظر أختك صديقتي وكنت أريد أن أعترف لك منذ فترة طويلة بأنني أحبك..

- لكن أنتِ مخطوبة كيف ستجلسين معي؟!

- لا أحبه.. أحبك أنت.. ولا أدري ولا أعرف شيء غير أني أحبك

تقترب منه وترتمي في صدره، تقبله قبلة عشق ولهف، تمضي وقتها معه تداعبه ويداعبها

وتمر الأيام حتى استسلم الشاب لها، عاشرها معاشرة الأزواج، ويستمر اللقاء بينهم عدة أشهر حتى اقترب ميعاد زفافها، فتذهب إليه مهرولة..

- ماذا سنفعل.. زفافي يوم الخميس القادم

- لاتشغلي بالك زوجك عبيط لا يفهم في هذه الأشياء

- هو لا يفهم لكن الكل يفهم والكل سينتظر النتيجة لرؤية "المحرمة" ونحن في بلد ريفي وعادات وتقاليد لا تنام الأسرتين ولا يتركون بيت العريس حتى يخرج لهم بها والكل يطمئن، ومن الممكن أن تحدث فضيحة ويموت أبي بسببي

- اطمئني سوف أفكر في الأمر

يذهب الشاب ويبيع قطعة أرض دون علم إخوته الورثة معه، ويدبر ثمن إجراء عملية جراحية لترميم أو ترقيع غشاء البكارة لها، ويتم الإتفاق على الميعاد قبل الزفاف بيوم واحد.. ويتصل بها..

- أنا في انتظارك يوم الأربعاء، سنذهب للدكتـورة، تم الحجز لإجراء عملية لك لتعودين بكر

- حاضر حبيبي بحبك جدا جدا.. إلى اللقاء.

يتم إجراء العملية ولا ينكشف أمرها، ويمضي الوقت وتتعدد الحجج التي تترك بها بيت زوجها، لتذهب إلى صديقة مرة أو ابنة عمها مرة أخرى، تذهب لأحضان العشيق، تقضي متعتها بين يديه ولا تبالي أنها أصبحت زوجة لرجل آخر وأن الله سترها ولم ينفضح أمرها.. بعد خمسة أشهر ونصف يعلم الجميع أنها تحمل في أحشائها طفل، يدعون لها أن تلد بالسلامة، ذات يوم من الأيام تتألم بشدة تصرخ ولا أحد في البيت الكل في عمله، تجري إلى ابنة عمها، تأخذها الي المشفى ليتم الكشف عليها، يخبرها الطبيب:

- هذه أعراض وضع

تقف بجوارها ابنة عمها وزوجها شقيق الزوج، يصدمان وتلطم بنت العم وجهها قائلة:

- وضع كيف وأنتِ لم يمر على زواجك غير خمسة شهور؟

يخرج أخو الزوج ليتصل بكل أفراد الأسرة، ويأتي زوجها والكل يسأل:

- هل فعلت معها شيء قبل الزواج؟
- لا لم أفعل، ولم أمسها غير ليلة العرس فقط
- كيف لم تكتشف أنها امرأة وليست فتاة..
- أقسم لكم أنها كانت بكرا
- أرجوك يا دكتور هل الطفل يحتاج حضانة
- لا.. لماذا!! إنه كامل وابن تسعة أشهر

ينظرون لبعضهم البعض، كيف لم يمض غير خمسة أشهر..

- تتصل ابنة عمها وتصرخ تعالوا، ابنتكم فضحتنا، ابنتكم وضعت
- "الأب" كيف.؟

ينظر لها الزوج وهو حزين ويقول:

- ليس ابني وليس مني خذوا ابنتكم فهي طالق

تذهب إلى بيت أبيها حاملة عارها بين يديها، يضربها الأب بكل قسوة..

- من فعل هذا بك.. والولد ابن من؟
- ابن فلان

حكت لهم كل ما كان يدور بينهما، من أول يوم لقاء حتى يوم إجراء العملية الجراحية لها، يذهب الأب معاتبا الشاب:

- لماذا فعلت هذا بها؟
- هي من كانت تأتي وتفعل، وأنا شاب لم أستطع التحكم في نفسي، حاولت طردها مرات عديدة، لكنها أصرت أن يحدث هذا

تأتي عمة الشاب وتتوسل إليه أن يتزوجها ويأخذ الطفل في صدره، يوافق وتصبح زوجته، ويأخذها والطفل ليسافروا بعيداً وأثناء السفر تصدم السيارة بأخرى يقلى الطفل حتفه وتنتهي حياته، وتصاب الزوجة بكسرفي الحوض فلا تسطع الإنجاب مرة أخرى، ويصاب هو اصابة خطيرة في الحوض ويحرمان من الإنجاب.

حكاية فلاح

يجلس الحاج محمد، بعد الثانية صباحا، في برد الشتاء القارص، هو وزوجته، المسنة أم أحمد، بجوار وابور الجاز، ليشعرا بالدفء، لأنهم لا يستطيعون النوم بفرشهم المتواضع البسيط، والغطاء الذي لا يصد هجمة البرد، وصعوبة الجو!

- فاكرة يا ام أحمد بيتنا الكبير الدافئ!
- فاكرة يا خويا ولا الخير اللي كان ماليه
- أهو كان نص فدان لكن مكفينا، علم العيال ودخلهم كلياتهم؟!
- والنبي ياخويا لولا الحوجة وجواز البنات، وكلية الولد ما كنت طالعة من بيتي أبداً، ولا كنت اتهان واتبهدل كده، بعد العمر ده، يتعمل فينا كده يا خويا؟
- وإيه بإيدينا يا أم أحمد؟ كانت حتة أرض صغيرة، لكن كان ماليها الخير والبركة
- أيوه يا خويا والنبي، شوية الغلال كانت تكفينا

طول السنة، شوية الذرة يربوا طيرنا، وطيرنا مكفينا لحم وبيض..

- والجاموسة، والبقرة، تخلف العجل، يكبر ينباع، نصرف على الاولاد، في كلياتهم، ولبس السنة كلها، وكتبهم، ومصاريفهم

- إنت ناسي يا أبو أحمد الجاموسة كانت بترمي خير قد إيه، ياخويا والنبي بشوية اللبن، واللي بيعملولنا جبنة وسمن وزبدة، ده غير اللي كنت بتبيعه، كنت اشتري منه طلبات البيت كلها، هنا كل يوم حاجات ومحتاجات، ومصاريف كتير، وكل حاجة يشتروها؟

- يا أم أحمد، معتش فيه خير، والبركة راحت، والناس بتأكل في بعض زي السمك

- آه والنبي، إحنا كنا عايشين في حالنا، إنت طول النهار في أرضك، ومع مواشيك، تعمل شغلك، ولا تنام تحت الشجرة، بعيد عن دوشة ومشاكل الناس

- طيب انزلي البلد كده؟ واتفرجي على الأفرنجي، ولبس البنات الضيق محذق ومكشوف، ولا

الأولاد والشباب اللي طول اليوم واقفين على النواصي، يعاكسوا البنات، ولا القهاوي، اللي كثرت ولمة الصيع، والمخدرات، يا ختي اسكتي؟ الزمن اتغير، والأحوال تبدلت، ربنا يرحمنا برحمته

- والنبي يا أخويا، أنا ما صعبان عليا غير حاجة واحدة، الجدي ولا الخروف اللي كنا نذبحه، كل موسم، والغلابة اللي كانت تأكل معانا منه.. والنبي المعزة اللي كانت عندنا، بسم الله ما شاء الله، كانت بتولد بالخمسة والستة، وكان أكلهم كله بلاش من الحشائش اللي بتطلع في الأرض؟

- راحت كل حاجة يا أم أحمد! إحنا اللي بقينا غلابه، لا لاقيين بيضة، ولا حتة جبنة، وأكلنا كله زيت، بدل الزبدة واللبن، وبنستنوا اللحمة من السنة للسنة؟

- يعني هي ليها طعم يا خويا، بيدوهلنا وعينهم فيها، ولا الفراخ اللي عاملة زي قش الرز، لا طعم ولا ريحة؟

- كفاية يا أم أحمد، متشيلنيش الهم، أكتر من

كده، الله يرحمه جمال عبد الناصر، وزع الأراضي على الغلابة؟ عشان ميكونش فيه ظلم، وذل وسادة وعبيد؟ بالرغم أن فيه ناس تلاعبت بالموضوع، وباعت أراضيها بعقود ضد، وطلعتها للي زينا نزرعها بالنصف أهو نص فدان، لكن كان مكفينا دقيق ورز وذرة وكان مالي البيت خير، عشرات الآلاف من الأسر كانت عايشة بكرامة يا أم أحمد من الأرض، دلوقت شغالين بوابين وبيخدموا الناس ويسهروا على راحتهم وراحة أولادهم وتشتري كل حاجتهم والآخر ترميلك الجنية ولا الاتنين وتشخط، إنتي جايبة الحاجة وحشة، دي ناقصة، دي غالية، ولا وقفة الفرن وزحمته وبهدلته، ولا السهر في عز البرد وحر الصيف، والسوق وقرفة ويا ريت عاجب، يا رب عجل بيومي عشان أرتاح من الذل ده

- بعيد الشر عليك يا خويا، ربنا يخليك لينا، إنت السند، لازم تستحمل، عشان جهاز البنات، والولد يكمل الكلية، أنا حستحمل يا خويا،

والنبي عشان مصاريف الأولاد، حنجيبوا منين يا خويا، راحت الأرض اللي كنا مسنودين عليها

- يا أم أحمد، إنتي صعبانة عليا بعد السن ده تتبهدلي كده، وواحده زي دي تكلمك بالشكل ده، هي ماتعرفش انتي بنت مين

- معلش يا خويا لا بنت مين ولا غير بنت مين أنا حستحمل، عشان أولادنا، الزمن اتغير يابو أحمد؟

- منك لله، خربت البلد وراح خيرها على ايدك، بسبب القانون بتاعك اللي طلعته لصالح الأغنيا، رجع زمن الإقطاعيين تاني، ويا ريت فيه شغل للفلاح فيها، كلها بقيت مكن ومعدات يا أم احمد؟

- يا خويا، آدينا عايشين، مين كان فيه حيل ولا حمل الفلاحة

- عيشة المهانة والذل

- قول يا خويا الحمدلله، إحنا أحسن من غيرنا؟

- أحسن في إيه يا ولية.. أنا مش متعلم، لكن فاهم الدنيا، الكلب برة واخد حقة عننا هنا، بيلاقي

الدواء والرعاية، دول عاملين ليهم مستشفيات أحسن من بتاعتنا إحنا يابني آدمين، ولا اللحمة اللي بناكلها لما بتفسد عندهم، بيبعتوها لينا هنا، إحنا ناكلوها، اللحمة المجمدة؟

- يا لهوي يا خويا، إنت بتقول بجد؟

- آه والله!

- والنبي ما تنزل بطني تاني أبدا؟

- لو دورتي تاكلي إية، ومتاكليش إيه، مش حتلاقي حاجة تصلح للأكل، كلي يا أم أحمد كلي، ربنا ساترها مع الغلابة؟ وجسمنا أخذ مناعه خلاص؟

- ياه يا خويا الكلام أخدنا، نام شوية النهار طلع..

- انام ازاي والهموم دي كلها على راسي؟ ومين ينام في البرد ده؟

- هموم إيه بعد الشر، ولا هموم ولا حاجة، تعالى نام في صدري، وأنت حتحس بالدفى يا خويا، علشان ترتاح، أنا خايفة عليك؟

- مش عارفة هموم إيه، الولاد ومصاريفهم وعلامهم، وجواز البنات، وجهازهم، ولا يجي

واحد يقولكك، أمشي من العمارة، وقتها حنعمل إيه؟ حنموت من الجوع؟

- لامش حيحصل،إنت مخوف نفسك على الفاضي

- لا مش خوف، دي حقيقة وواقع، وبعدين البوابين كتير، والناس مش لاقيين شغل، تصدقي واحد مدرس شغال بواب، وناس كتير، واخدين شهادات، شباب زي الورد، شغالين في شركات الزباله، واللي بيمسح جزم

- يا لهوي يا خويا، إنت بتتكلم بجد؟ يعني بعد تعبنا الأولاد تطلع مش هتلاقي شغل ولا وظيفة

- وظيفة إيه، بيطلعوا الموظفين معاش مبكر؟

- والنبي أنا اللي شيلت الهم، والنبي أنا اللي شيلت الهم، والنبي أنا اللي شيلت الهم، يا أبو أحمد، ده كله شايله جواك وكاتم

ساكن من السكان ينادي:

- انت يا جدع يا بواب، إنت يا زفت، آه نايم دفيان وسايب العمارة، ولا في دماغك

- يا فتاح يا عليم.. سمعتي ياستي، نايم دفيان؟

- معلش يا خويا، استحمل عشان العيال..

- حاضر يا أم أحمد
- صباح الخير يابيه
- صباح الزفت على دماغك، نايم وسايب غطا العربية طاير من عليها، والشتا بهدل العربية كده؟ هات جردل مايه بسرعة، واغسلها على ما أسخنها
- حاضر يا بيه
- جاتكم القرف، فلاحين بهائم، ماليتوا البلد
- أشكرك يابيه، لكن الفلاحين دول ناس عندهم كرامة، وعزة نفس، لولاهم ماكنتش أكلت خضارك، ولا عيشك
- إنت بترد عليا يا راجل ياقليل الأدب؟
- إنت بتشتمني، وتضربني على وشي، طيب ليه يابيه، الظلم.. ليه الظلم؟
- أنا ظالم يا راجل يا ابن الكلب؟ لو رحت الشغل، آجي ما أشوفش وشك هنا، ولو شوفتك هضربك بالجزمة؟
- يالا يا أم أحمد لمي حاجتنا
- نروح فين يا أخويا؟ والأولاد؟

- ليهم رب يتولاهم؟

يعود عم محمد إلى بيته هو وزوجته، والدمعة محبوسة في عينيه، والآه، والصرخة مكتومة، حتى لا يشعر أبنائه بحزنه الشديد وألمه..

- إوعي يا أم أحمد تقولي حاجة للأولاد عن اللي حصل

- متخفش ياخويا، أدخل ريح شويه، إنت تعبان

- حاضر

يدخل عم محمد غرفته، وتنفجر عيونه بالبكاء، ويتمدد على فراشة لتصعد روحة الطاهرة إلى ربها.. ويترك الدنيا خلفة وأولاده وزوجته...

الحارس

كان هناك شركة أمن توظف رجال لحراسة العقارات والشركات والبنوك وغيرها! تختار الرجل القوي طويل القامة والقلب الميت الذي لا يخاف الموت.. تقدم شاب متوسط القامة، لم يكمل تعليمه، لكنه شاب أمين وعلى خُلق، يخاف الله، ساله مدير الشركة:

- من أين أنت
- من الريف

قال له فى تعنت وسخريه:

- كمان فلاح.. معندناش شغل

رفضته الشركة وقبلت في العمل شاب آخر كان ذاهبا معه يبحث عن عمل، بكى الشاب وذهب ليبحث عن عمل آخر وتم

توزيع رجال الحراسة في المواقع المحددة، إذا بالشاب الذي تم تعينه يأتي موقعه على شركة صرافة وإذا به اتفق مع عدد من زملائه وأصدقائه بهم ليقوموا بسرقة الشركة!

بجوار الشركة جراج سيارات، ومن حسن الحظ كان يجلس به الشاب الذي رفضته الشركة مع أحد أقربائه، كان يبيت معه في الجراج لأنه مغترب من الأرياف، الشاب حزين لم ينم الليل! يفكر في حاله وحال أسرته، يريد عملا يكتسب منه قوت يومه، وقوت أسرته، والدنيا مظلمة في وجهه ومع القلق والحيرة؟

فكر ليخرج من الجراج ليشتم بعض الهواء؛ لأنه يحس بضيق في الصدر، إذا به يسمع همس، شك في الموضوع وحاول الاقتراب من مصدر الصوت، وهو يمشي على أطراف أصابعه! نظر.. وجد عدد من الشباب يتحدثون مع رجل الأمن، وعندما نظر للرجل الآمن وجده مبتسما فقال:

- هذا الشاب الذي كان معي في الشركة عندما كنت أبحث عن عمل ناس ليها حظوظ الله يسهله ويرزقه

سمع رجل الأمن يتحدث بصوت ضعيف ويهمس للآخر ويقول له:

- اوعى الضربة تكون مميته يا صاحبي وتكوشوا على كل حاجه وأروح أنا فطيس

فكر الشاب في الكلام، وعرف أنهم يخططون للسرقة، إذا خرج عليهم من الممكن أن يقتلوه ولا يوجد معه غير صديق واحد نائم وهم عددهم كبير، وجوهم بها شرا، أخرج الهاتف المحمول وفكر في تصويرهم واختفى خلف زرع كان أمام المبنى واقترب منهم وهم يتجادلون، وبدء في تصويرهم، فأخرج شاب من جيبه شيء وأعطاه للحارس..

- ابلع هذه ولا تخف حتى لا تشعر بالألم

ابتلع الشاب قرص الدواء وانتظر الآخر قليلا وهوا يضحك ويتحدث مع رجل الأمن ونظر لآخر معهم، فالتف خلف رجل الأمن وسدد له عدة ضربات بشومه على رأسه، وأخرج سكين من جيبه وضربه به في كتفه وفخذه، ثم قاموا بالدخول إلى المبنى، كسرو الباب وسرقوا كل محتويات الشركة من مال وأجهزه وفروا هاربين تاركين الحارس ملقى على الأرض ينزف وفي غيبوبة، دخل الشاب الجراج وهو يرتعد خوفا مما رآه، نام الشاب لم يشعر بنفسه من الخوف والتعب، مضى الليل مسرعا إذ يستيقظ على صوت عربة الإسعاف ورجال الشرطة يدخلون الجراج ويدفعه رجل الشرطة

بقدمه ليستيقظ من نومه فقام الشاب وهو مرتعب ويقول له:

- فيه إيه

- أين كنت بالليل "وسبه بـ الأم"

قال الشاب:

- اصبر وسوف أحكى لك ما رأيت، لكن لن أتحدث إلا أمام مدير الشركة

كان مدير الشركة رجل أمن سابق، صفعه على وجهه قائلا:

- نعم يا روح أمك!!

بكى الشاب وقال له:

- شكرا لك ولكني لن أتحدث إلا أمام مدير الشركة

اذ بالمدير يدخل ويقول له:

- تكلم.. لماذا سرقت الشركة وضربت الحارس كل هذا لتنتقم من الشركة وتشوه سمعتها لأنني رفضت أن أعينك بها، أنا قلت هذا من أول ما رأيتك، أنك لست طبيعي، ولن يأتي من الأرياف إلا المصائب أمثالك

ضحك الشاب وقال:

- أنا أشكرك ولكن الحل بيدي ولدى دليل على من سرق ولن أتحدث إلا أمام صاحب شركة الصرافة

صفعه رجل الشرطة وقال:

- من كان معك وقت السرقة وأين المال الذي سرقته

يضرب فيه هو وصديقه الذي كان يبيت معه، ودخل صاحب الجراج ومعه محامي وقال:

- ليس لك الحق أن تأخذ رجل من عمله ويترك أموال الناس عرضه للسرقة، وما دليلك على أنه هو السارق

كان صاحب الجراج رجل قضاء سابق، فاهتز رجل الشرطة واعتذر له وقال:

- لأنه أقرب واحد لموقع الجريمة، وكان يريد العمل في شركة الحراسة وتم رفضه

فابتسم الرجل وقال:

- وهل هذا دليل على أنه هو الفاعل

فتكلم الشاب وقال له:

- لدى دليل على الفاعل ولكن لن أظهره إلا أمام صاحب شركة الصرافة

فاتصلوا به وأتى ثم قال لهم:

- أريد أن أذهب للجراج

ذهبوا معه.. قام الشاب بالقفز خلف الجراج ولبس كيس بلاستك في يده ومد يده داخل صرف صحى وأخرج الهاتف الذي صور به ما حدث فقالو له:

- ما هذا؟
- الدليل

أعطى الهاتف لصاحب شركة الصرافة وقام الرجل بتشغيله فصدم مما رآه، وقدمه لرجل الشرطة وقال له:

- افعل ما يجب فعله على الفور

تم القبض على السارقين ومعهم الشاب المضروب، اعتذر له صاحب شركة الأمن، وأعتذر له ضابط الشرطة، وقال له صاحب شركة الأمن:

- سوف تعمل لدي في الشركة

فبكى الشاب وقال له:

- لا أريد العمل معك أنت أهنتني وتريد أن أعمل لديك، أنا رجل فلاح من قرية بسيطة، وأنت لا تحب الفلاحين وتسخر منهم

نظر له صاحب شركة الصرافة وقال له:

-لن تعمل إلا عندي، وستتولى حراسة الشركة، ولن
أجد أفضل منك في الأمانة والإخلاص

قال له الشاب:

- لا أريد العمل سوف أعود إلى بلدي والرزاق هو الله

قال له:

- ماذا ستعمل في بلدك
- لا أعلم ولكني اكتفيت إهانه، فمن خرج من داره قل مقداره، وأنا تمت إهانتي بما فيه الكفاية

قال له صاحب الشركة:

- إرجع الى بلدك لكن لن ترجع خاوى اليدين

صرف له مكافأة كبيرة فقال الشاب:

- لا أريد أجرا على فعل الخير

تبسم الرجل وقال له:

- هذا حقك، بل أقل من حقك، فما تم سرقته الكثير والكثير، وأنت من أعدته، ولك نسبه فيه

قال الشاب:

- لا أريد أخذ مال لم أتعب فيه، ولو رجعت بلدى لأمي وإخوتي وجيراني سيعتقدون أني سرقت المال

فقال الرجل:

- سوف أذهب معك، هل ستقبلني ضيف عندك

قال الشاب:

- على الرحب والسعة

ذهب معه الرجل وأمضى معه اليوم كله، وفي المسجد ذهب لأداء الصلاة وقام بعد الصلاة ونادى في المصلين وقال لهم:

- أريد أن أتحدث معكم

حكى لهم ما حدث فابتسم الجميع وقالوا:

- نحن نعلم من هو جيداً وتربى بيننا ونعلم أنه أفضل شباب البلدة ولو أتى بالمال وحكى ما حدث كنا صدقناه لأننا عهدنا فيه الصدق والأمانة والإخلاص، يخدم الكل بإخلاص ولا ينتظر مقابل، بالرغم من شدة فقره واحتياجه فهو عفيف النفس

- وأنا لذلك أدخلته معي شريك في الشركة بنصيبه الذي رفض أن يأخذه وسوف أبنى مصنعا كبيرا، وسوف يكون هو مديره وشريك معي فيه؛ ليعمل أبناء القرية فيه، بجانب المصنع سوف اتبرع ببناء وترميم المسجد ومدرسة ومشفى مجانا لأهل القرية، وعمال المصنع للعلاج فيه مجانا

كان للشاب أخت كبيرة لم تتزوج لأنها فقيرة، لا تستطيع أن تأتي بما تجهز به الفتيات نفسها من جهاز للعروسة، كان حلم الشاب أن يعمل من أجل أخته، لتتزوج فتقدم لخطبتها الرجل الثرى وقال:

- لن أجد من يصون عرضي ومالي أفضل منك، فإذا كان الأخ الصغير بهذه الأخلاق؛ فأنتِ الأكبر وقد تعلم منك هذه الأخلاق

تزوجـها الرجـل الثري، وتحـول بكاء الشاب إلى ضحـك وفـرح وسعادة، وتحولت حياة الأخت من يأس إلى أمل وفرح وسعادة، وتحول حال القرية الفقيرة إلى قرية منتجة وغنية وفي أفضل حال، وهذا بفضل الأمانة والطيبة والإخلاص لله عز وجل.

انتقام عفريت

في وسط الريف الهادئ، وصوت آذان الفجر، يبدأ الليل يلملم أذياله، ويشق ضوء الصباح، قاسم بسيفه الليل، تأذن الديوك، تغرد الطيور، تزقزق العصافير، وتبدأ المواشي تصدر أصوات، وتنادي على أصحابها وتيقظهم من نومهم لتذهب إلي حقلها ومرعاها، ويمتلئ طريق القرية بمئات من البقر والجاموس والأغنام، تدفع بعضها بعضاً، وتتسارع لتذهب كل واحدة إلى حقلها، لتنعم بالطعام الوافر؟

تتقلب أحلام في نومها.. الفتاة البريئة الجميلة، ثم تلقي بالغطاء وتهرع إلي الحمام لتغسل وجهها البريء، ذو الملامح المخملية، والشفاه الغليظة المثيرة، والجسم الممشوق، والنهد الجميل المثير، ترتدي أحلام فستانها البسيط والقصير، تخرج للشارع مسرعة، تبحث عن الأطفال؛ لتلعب معهم الحجلة، وتقفز في فرح، وكل قفزة منها يقفز نهديها معها، كأنهما ترقصان على نغم جميل، ويطير فستانها، وتنكشف أقدمها الملفوفة مثل الشمع المشتعل بنار جمالها،

وهي تلعب وتلهو بفرح وسعادة، تلقي الجارات عليها السلام ،وهي ترد والبسمة تزين وجهها البريء، الكل يحبها، ويسمونها وردة القرية، وبركتها، الكل عند رؤيتها ينادون عليها ليعطوها أي شيء، مال أو حلوى و يطالبها بالدعاء له، فتدعوا الله لهم، وكثيرا من الدعاء كان مستجاب، الفتاة التي لم تتعدى السابعة عشر ربيعا، ولا تملك من دنيانا غير وجهها البريء الجميل، الجسم الملفوف، القوام المثير وعقلا ضعيفا، لا يستطيع التميز بين الخير والشر..

خلف شباك منزل، يوجد ذئب بشري لا يبالي، وشيطانه يلهث مثل كلب ضال، كل يوم يقف خلفه، ليسترق ويختلس بعض النظرات، من محاسن أحلام..

وهي تلعب وتقفز، كلما تنحني وهي تلعب، يظهر نهديها منها، أو تنكشف ساقاها الجميلتان الملفوفتان وهكذا يستمر كل يوم..

ذات يوم، خرجت أحلام لتلعب، لم تجد الأطفال الصغار التي تلعب معهم، جلست حزينة، تحرك أقدامها ويديها في غضب كان يراقبها عن كثب، ففكر وقال:

- هذا هو الوقت المناسب، وفرصتي سوف أغتنم هذه الفرصة التي لن تتكرر..

نزل مسرعا معه بعض الحلوى؛ ليقدمها إلى الفتاة الكبيرة الصغيرة كبيرة الجسم والعمر، صغيرة الفكر والعقل، اقترب منها بلطف.

- ماذا بكِ أحلام؟ لماذا أنتِ حزينة؟ اشتريت لكِ بعض الحلوى.. خذيها ولا تحزني، وتعالي معي نلعب كما كنتِ تلعبين مع الصغار، هيا لا تخافي، سنلعب الحجلة وسنركب الأرجوحة.

قامت أحلام وهي فرحة، ستجد من تلعب وتلهوا معه.

- هيا أحلام اعطيني يدك

تمسك في يده حتى خرج بها من القرية وذهب إلى بيت بعيد مهجور.. ظل يلعب معها مثل الأطفال، يعطيها الحلوى ويداعبها ويلمس جسدها ويجعلها تقفز وتنحني ليرى صدرها وقدمها حتى أرهقها وتعبت وألقت بنفسها على ظهرها لتستريح وهي سعيدة، ثم ألقى بنفسه بجانبها، يداعبها ثم يضع يده على صدرها وعلى أقدامها، يزغزغها فتضحك، بدأ بلمس باقي جسدها الجميل، شعرت بالنشوة، حينما أراد معاشرتها

ارتجفت الفتاة.. طلبت الرجوع لبيتها فامسكها وأحكم قبضته عليها.

- اجلسي سنكمل لعبتنا سنلعب عريس وعروسة.

وضع على رأسها طرحة بيضاء، وغني لها، ثم نزع منها ملابسها وهي تشدها منه لترتديها، فيقول لها:

- لا.. سنلعب عريس وعروسة مثل ما نرى في الأفراح والأفلام

دنس طهرتها البريئة، تصرخ وتبكي كأنها علمت أن ما حدث خطأ وجرح كبير في كرامتها ونفسها، وظل يمارس معها عدة مرات، لم يكتفِ بهذا فقط، بل أراد الرجوع لها عدة مرات ليستمتع بجمالها، فكر في حجزها في هذا المكان البعيد، كبلها بحبل وتركها وحيده تبكي وتتوسل إليه؛ ليعود ويطلق سراحها، لكنه شيطان لا يبالي ولا يشعر بدمعتها، ويعود مرة أخري ليكمل ما بدأ به، الكل يبحث عن أحلام، الأهل والجيران، الكل يبكي من أجلها وحزين، حتى الطيور لا أحد يشعر بها وقت الصباح؛ لأن صوتها كان مرتبط بصوت أحلام، في الجانب الآخر من الخبث والدهاء والمكر يبحث معهم؛ حتى وصلوا إلى المكان المهجور،

الكل خائف أن يدخله؛ بسبب ما يدور بين الناس أن به جن أو عفريت، قال لهم:

- أنتم خائفون؟ سوف أدخل هذا المكان، إنها أحلام ابنتي وبركتنا جميعاً انتظروني حتى لا يتأذى أحد منكم؟

يدخل ثم يخرج ويرسم على وجهه الخوف والفزع؟

- للأسف لم أجدها..

يأتي اليوم الثالث ومعه الطعام والحلوى والماء..

- كيف حالك أحلام؟ أتيت لك بالحلوى والطعام
- لا.. أريد أمي وأبي
- حاضر.. ستذهبين للبيت لكن.. بعد أن نلعب لعبتنا ارتدي الطرحة الجميلة..

يغني لها، فتبكي أحلام.. وتنظر إليه وبداخلها ألم يعتصر قلبها وحزن كاد يقتلها.. وبعد أن ينتهي.. ويمضي وقته في متعته الحرام.. يذهب ويتركها وحيدة وبجانبها الطعام.. يخرج فأر صغير تنظر له وتبتسم، أمسكت كسرة خبز وألقتها له فأخذها وجرى بها إلى جحرة، حزنت أنه تركها وذهب ثم خرج مرة أخرى، وعاود الفأر الكرة عدة مرات، فكرت ألا تعطيه الطعام

حتى اقترب منها فأعطته مرة أخرى، فأكل بجانبها، رسم البهجة والسعادة على وجهها.. اليوم الرابع يأتي شيطان الإنس ويكرر ما يفعله كل يوم، ويعود للقرية ويبحث معهم عن أحلام، في يوم بعد خروجه من المكان المهجور قابل أناس من أهل القرية، نظرو إليه بتعجب وسألوه:

- ما الذي أتى بك هنا؟ هل أصبحت صديق العفريت؟

ضحكوا وتركوه..

اليوم الخامس أعد الطعام والماء، وقرر أن يذهب ليستمتع بالفتاة البريئة.. وعندما خرج من بيته وهو يحمل في يده ما أعده من طعام، وجد من قابلهم في الطريق أمام بيت أحلام، يتحدثون مع أهل الفتاة. وينظرون إليه.. شعر بالخوف والريبة فتوجه لطريق آخر حتى لا يشك به أحد، بالفعل كان أحد يمشي خلفه يراقبه.. كان يضع سنارة صيد في مكان تذكره، ذهب وأخرجها وجلس لصيد الأسماك.. قرر عدم الذهاب للفتاة وتركها دون طعام أو شراب.. فيخرج الفأر ذو اللون الرمادي الغامق الذي يكاد يصل إلى الأسود، ليقف فوق كتف أحلام، يهمس في أذنها لا

تحزني أحلام سوف تعودين إلى بيتك.. نظرت له أحلام وعيونها تسأل:

- فأر وتتكلم..

قواها الخائرة منعتها من الاسترسال في التفكير في هذا الفأر، أو أنها اعتقدت بأن ذلك من وحي خيالها..

مر الوقت وتلك العيون المتلصلصة تخرج من جحرها وتراقب تلك الضحية، انتظر أن يأتي الخاطف ليراعي ضحيته، لكنه لم يأتِ، قرر أن يفك وثاقها، وقف أمامها وهي تنظر إليه بتعجب، فإن الفأر يتضخم حجمه، مسحت عينها بيدها، ونظرت مرة أخرى، هي لا يتهيأ لها بل إنه تحول إلى شاب، واقترب منها وهي تبكي خوفا وفرحا في نفس الوقت، أعجبتها اللعبة، وتريد أن تلعب معه لكن.. حالتها الصحية لن تمكنها من ذلك، جفف دموعها وقال لها:

- اذهبي إلى بيتك أحلام..

خرجت في ظلام الليل الدامس تتخبط في جدار تلك المغارة، تقع على وجهها أرضا، تتحامل وتقف لتكمل طريق العودة، حتى اقتربت من القرية وكان الخاطف في طريقة عودته لبيته فرآها، جرى إليها وقال لها:

- كيف خرجتِ من المغارة.. من فك وثاقك؟

التفت حوله.. لم يجد أحد، أراد أن يعود بها للمغارة، صرخت، حاول تهدئتها فلم يفلح، وزادت من صراخها فكتم أنفاسها بكلتا يديه، سكتت، اعتقد أنه سكوت أبدي وقال:

- لقد لفظت أنفاسها الأخيرة.. يا ويلتي...

حمل جسدها، ذهب إلى المكان المهجور، وضعها أمامه على الأرض، يفكر ماذا يفعل في تلك الجثة، هداه تفكيره الشيطاني إلى أن يحرقها ثم يدفن ما تبقى منها تحت التراب، أحضر ولاعته وأشعل فيها النار وهي لم تمت بعد، صرخت وصرخت وجرت في المكان وهو يهرب منها، هي تجري خلفه تريد أن تقتله، رغبتها في الانتقام منه أكبر من ألم الحريق، خرج من المغارة وأغلق الباب عليها، ظل واقفا حتى انتهى الصراخ، فتح باب المغارة وأحضر معولا وفحت في التراب ودفن رفاتها، قام بتنظيف ملابسه من الأتربة، ذهب مسرعا إلى بيته كأنه لم يفعل شيء، ويزيد من سؤاله عنها كأنه لا يعلم شيء؟

حينما خرجت روح أحلام كانت غاضبة تحولت إلى

غفريت مارد، رآها ذلك العفريت الذي ساعدها على الخروج من المغارة لترجع لأهلها، اتحدا معا بعدما علمت منه كيف حضر إلى هذا المكان، ولماذا لونه أسود هكذا، فقد مات مثلها محترقا، ووقع عليه ظلم شديد من أهل البلدة المجاورة لبلدتها، وقررا الانتقام، يتجهان للقرية ثم يشعلان النار في بيت الرجل..

فينجوا من الحريق، ثم يأتي اليوم الثاني تدخل عليه أحلام وهي مشتعلة وتنام في فراشه بجانبه، يشعر بالنيران، يقوم مفزوعا من نومه، يخرج من الغرفة وهو يصرخ حريق حريق، يأتي الجيران ولا يجدون شيئا، الكل يضحك ويقول إنه جن أو كابوس من حريق أمس، تضحك أحلام بصوت عالٍ، هي والعفريت الآخر، يطوفون في البلدة، يحرقون بيوت كل شرير، كان يكره الشاب، أو لا يحب أحلام، أو من كان يسخر منها.. تطير من بيت لبيت وهي شعلة نارا والكثير يراهم.. دب الرعب في قلوب الجميع، كانت تزور كل يوم بيت من بيوت القرية هي والشاب تضحك وتطير، كلما أراد أحد الهروب أو الخروج من القرية منعوه بقلب السيارة، أو حرقها، ظل الجميع حبيس أحلام

والعفريت الآخر، حتى تحدثوا مع والدها وقالوا:

- أنت الوحيد الذي لم يمسوك بسوء، نرجوك أن تذهب إلى شيخ لينظر ماذا حدث للقرية وكيف نخرج منها أو تخرج العفاريت..

ذهب الرجل وأتى بشيخٍ، حينما دخل من طريق القرية التي يمر بجوار المكان المهجور، شعر الشيخ بشيءٍ، قال لهم هذا المكان تسكنه أرواح غاضبة..

تفقد القرية وجد بيوتا كثيرة محترقة، بالبحث علم أن كل هؤلاء كان يسخرون من أحلام، وبيوت أناس سيئة الخُلق، وعلم أن أحلام مختفية، لم يعثر عليها أحد من عدة أيام، وأيضا اختفى شاب من نفس القرية من عدة سنوات، كرر الشيخ المبيت في القرية، ظهر العفريتين، ارتجف الرجل وخرج من القرية وهو يقول:

- لا خلاص لا خلاص كان الله في عونكم جميعاً

طلبوا أهل القرية من والد أحلام أن يذهب مرة أخرى للرجل فذهب وتقابل معه، قال له:

- إن هذه الأرواح غاضبة من الجميع
- كيف الخلاص؟
- بالعثور على رفاتهما ودفنهما ومعرفة القاتل.

ابن المحطة

يقفز يلعب بين قضبان السكك الحديدية، لا يدري من أمه ومن أبيه شيء.. لا يقبل هواء ليس به رائحة دخان الديزل.. ولا يرتاح قلبه إلا بسماع صرخته الراعدة ولا يجري الدم في جسده إلا بعد أن يجري في داخله، وانتقاله وسفرة من محطة إلى الأخرى، ربما يشعر بأن القطار هو أبيه، أو ربما انطلق من إحدي العربات. القديمة أو نزل من السماء مثل قطرات المطر.. حياته كلها سفر! يجري من قطار إلى قطار.. ذهاب وعودة.. ثم ذهاب وعودة.. يحمل مرة حلوى.. ومرة مناديل.. ليجمع جنيهات قليلة ليشتري القليل من الطعام..

آخر الليل يذهب لينام في عربة القطار القديمة، المتهالكة، في الجانب الآخر من المحطة يفترش ورق الجرائد.. ويتغطى بغطاء سيارة قديم وجده طائرا بجانب الطريق..

يستيقظ على صوت تأوه وأنين.. فيرفع الغطاء عن رأسه.. يجد فتاة وشاب من أبناء المحطة.. يمارسان

الرذيلة في آخر العربة دار في فكره.. هل انا خلقت من هذا.. بين اثنين مثلهما.. ومن هو أبي.. من هي أمي.. وغط في النوم وهو يبكي..

في الصباح الباكر يستيقظ على صوت القطار الراعد، يجري ليحمل صندوقه، ليدخل في أحشاء القطار، ماراً بين الركاب وكثيرا منهم يعرفونه، ويصبحون عليه، ممن يسافرون كل يوم:

- كيفك رعد

يبتسم ويجري قائلا:

- توت عدي يا عمر وفوت

يشترون منه لتشجيعه، هكذا تستمر حياة هذا الطفل الذي بلغ من العمر التاسعة، تضيع بين السفر دون علم أين وجهته التالية، حسب القطار وحسب اتجاهه، يعود آخر الليل ويغط في النوم بعد أن أكل ما اشتراه، قبيل الفجر سمع نفس الصوت تأوه وأنين فنظر فوجد نفس الفتاة لكن مع شخص آخر، هكذا تستمر كل ليلة مع شخص مختلف..

بعد عدة أشهر استيقظ على سماع بكاء طفل صغير أسفل عربة القطار، ذهب ليلقي نظرة.. إذا بطفل

صغير عاريا على الأرض يتقلب على صخور حادة بين القضبان فقال:

- هل كنت مثلك؟!

زحف أسفل القطار، حمل الطفل بلطف ورقة، ذهب به إلى شرطة المحطة، تم طرده وزجره مع بعض السب والقذف بأقبح الألفاظ:

- اذهب وألقيه تحت عجلات القطار، لقد زاد عددكم ماذا نفعل بكم؟!

حمل الطفل عائداً به إلى مكان نومه، وأسرع ليجلب له لبن وبعض الملابس، واهتم بالطفل عدة أشهر.. يحمله على ظهره وهو يجري داخل القطار، يسافر به من محطة إلى أخرى مرددا:

- توت عدي وفوت رعد قادم بكل حلو يابيه

وبالليل يشتري طعامه وطعام الطفل، يأكل ويطعمه ويأخذه بين أحضانه وينام، حتى سمع نفس الصوت مرة أخري، من نفس المرأة مع شاب، بعد الإنتهاء نزل الشاب وتركها ترتدي ملابسها، قام الطفل مسرعا إليها ومعه الطفل وقال لها:

- هل هذا ابنك وهل أنا أيضا ابنك؟!

تنظر إليه بتعجب وتقفز خارج العربة دون أن تلتفت خلفها ولا تعير للحديث أي اهتمام، جلس يبكي ويسأل نفسه:

- هل ستنجب آخرين مثلنا؟ وهل من يمارسون معها من الصغار يكونون أبنائها أيضاً؟ وهل أبي أخي؟

كان محب لسماع إذاعة القرآن، يفهم بعض الشيء عن هذه الأشياء، وأنها حرام، وأنه ابن حرام وهو وأمثاله، منبوذون من المجتمع، والمجتمع يرفضهم.. ففكر كيف ينهي هذا الوضع.. ويقضي على هذه الظاهرة حتى لا يولد آخرين مثله، لكن لو نصح هؤلاء من الممكن قتله، والتنكيل به، والتخلص منه، وإذا ذهب إلي الشرطة يتم طرده، وسبه، وتهديده بالحبس وحينما كان يفكر ويشغل باله بالموضوع، وجد جرار يسيل منه النفط وهو يمشي، جرى خلفة حينما وقف ملأ وعاء وجده بالطريق بالنفط وذهب بها إلى العربة التي تنام بها العاهرة وشركائها، أحاط العربة من الداخل والخارج بالنفط، وكل العربة من الخارج والداخل، بعد قضاء يومه بين المحطات ذهب للنوم وكان ممسكا بيده قداحة فسمع تأوه وأنين مرة أخرى، نظر فوجدها

مرة أخرى مع رجل آخر، فحمل الطفل وأشعل عود ثقاب وألقاه عليهما وهما عراة وأشعل بهما النار وحمل الطفل مسرعا خارج العربة وانتقل إلى محطة أخرى.
بعد عدة أيام.. ذهب ليعلم ما حدث لهما وعلم أنهما رحلا وذهبت أرواحهما إلى ربهما، تنهد وحمل الطفل وسار بين المحطات، يبحث عن أمثالهم، وكلما وجد أحد يفعل نفس الشيء، قام بحرقه.
حرق الكثير والكثير وأصبح من كثرتهم لا يستطيع العد، وباتت تلك الظاهرة ومؤرقة لجهاز الشرطة، الذي تتبع تلك القضية حتى استطاع حلها وتم القبض عليه بعد فترة، وبعدما حرق الكثير، وأثناء المحاكمة كان واقفا أمام القاضي قص للقاضي قصته وقصة الطفل وقصة المرأة وقال:

- لا أريد أن أري طفل مثلي ومثل هذا الطفل ملقى تحت عربات القطار، لا يدري من أمه ومن أبيه، وهل أبيه هو أخ له ممن أنجبتهم هذه المرأة، هذا حرام

ذهل القاضي من حديث طفل صغير مشرد، وقال لنفسه:

- الطفل حمل على قلبه هم كبير واراد أن يقضي على شيء لم تستطع الدولة القضاء عليه لا بالحكمة ولا بالقانون..

أمر القاضي بالبحث عن أي طفل وطفلة مشردة ورعايتهم وتعليمهم حتى يصبحون أعضاء صالحين في المجتمع. وأما الحكم على الطفل ذهابه هو والطفل الصغير إلى دار رعاية أيتام والاهتمام بهما وتعليمهما.. مرت الأيام وتعلم الطفل الصغير، وصار شيخا كبيرا يقف على المنابر، يعظ الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، صار من الأغنياء وبنى كثيرا من دور الأيتام وتكفل بعشرات الأطفال بل مئات من أبناء الشارع والمحطات، حتى انتهى من كل متشرد وقضي نهائيا على هذه الظاهرة.. فسجد لله باكيا داعيا أن يغفر له ذنوبه...

وما زال الفاعل مجهول

مع صوت المؤذن والليل ينقشع؛ ليفسح مجال لنور النهار، وبعد سكون الليل الدامس، حيث لا توجد أضواء أو كهرباء في القرية غير لمبة الجاز، تنشر نورها الضعيف في أركان غرفة مبنية بالطوب اللبن، يقطن عبد السلام هو وزوجته وأبنائه الصغار يستيقظ كل يوم لصلاة الفجر. وهو عائدا يسمع صوت الديك وتصيح دويك القرية وتستيقظ المواشي، تصدر أصواتا عالية حتى يستيقظ أصحابها من نومهم يردد:

- أصبحنا وأصبح الملك لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله توكلت على الله..

ثم يحزم أغراضه، طعامه والشاي، والسكر، ويتوجه إلى بيت صاحب عمله.. يفتح باب الزريبة ويبتسم عندما يجد كل المواشي تقف حينما تراه.. نعم الحب بينهم فهو من يرعاهم، ويطعمهم، يفك وثاقهم، ويخرجهم في الخلاء، ويدخل لينظف مكانهم، ويحمل الرواسب والفضلات خارجاً، ويفرش الأرض بالتراب الجاف.. يتجه إلى المواشي ويجمع أربطتهم في يده

ويقفز على ظهر الحمار ويقول له:

- هيا يا صديقي لنذهب إلى الحقل!

مع ضوء الشروق الذي يشق السماء مثل سلاسل الذهب وبنفس راضية ويقول:

- توكلت على الله

يتوجه إلى الطريق ويبتسم لكل المارة، يلقي السلام على كل الفلاحين في الطريق والكل يحبه.. هكذا تستمر حياة عبد السلام.. سنين وأيام.. محبوب من الجميع حلو اللسان، عذب المنطق والبيان.. حر، قوي.

ذات يوم انطلقت أحد المواشي من مربطها لتجري داخل أرض رجل غني، وتهلك الزرع تحت حوافرها فيجري عبد السلام خلفها ليضربها بالعصا؛ لتخرج من الأرض ويعود بها غاضباً منها.

- لماذا فعلت هذا سوف يغضب صاحب الزرع ربك يسترها منه

يأتي الرجل ويعلم بما حدث فيغضب ويجري مسرعا نحو عبد السلام وهو يسبه بأقبح الألفاظ بالأم وبالأب ويحاول ضربه على وجهه، فيصد يده بقوة وغضب يدفعه ليقع الرجل العجوز الغني أرضاً

ويتجمع الفلاحون ويمنعون الشجار بينهما فيشعر الغني بالحرج ويثور غاضبا ويجلس يفكر.. ثم دار في خلده ما دار..

بعد عدة أيام يجتمع بسبعة من العمال الذين يعملون عنده ويطلب منهم قتل عبد السلام، يعطيهم مالا كثيرا ليريح صدره ويهدئ باله وغضبه. منهم أصحاب لعبد السلام مقربون وأعز أصدقائه.. يغريهم المال الكثير ويعدون الخطة والمكيدة، يذهب صاحبه ليسهر معه بالليل فيقول له:

- إيه رأيك يا صاحبي نسهر الليلة القادمة في الحقل نزود الأرض قبل ما تروح الميه وتجف الترعة
- نعم أنا موافق سانتظرك لنذهب سويا.. توكلنا على الله تصبح علي خير
- وانت من أهل الخير..

في الليلة الموعودة:

- ياعبد السلام
- نعم.. أنا قادم يا أخي الحبيب

يذهب إلى المكان ومعه جاموسته التي تدير الساقية وعندما وصل وجد عدد من الرجال يعرفهم، كان يكن

لهم كل حب ومودة، يشعر بأنهم إخوته ويحبهم حب الأخ لإخوته الأشقاء

- السلام عليكم يارجال
- وعليكم السلام ياعبد السلام
- متجمعين

يرد بسخريه أحدهم:

- في الآخرة أن شاء الله
- مالك يا صحبي إيه مزهقك وإيه الفال ده

يضحك بصوت مرتفع، يتعجب عبد السلام ويضرب كف بكف

- لا إله إلا الله ربنا يهديك يا أخي
- يأخذ الجاموسة لوضع الناف عليها ووضع الغمة على عينيها..

وهو لا يدري ما يدور في عقولهم وقلوبهم المملؤة بالسواد ونفوسهم المريضة.. إذ بأحدهم يسدد ضربة قوية على رأسه من الخلف.. يلتفت خلفه لينظر إلى صديقه:

- لماذا أخي.. ماذا فعلت لك؟
- آسف يا صديقي تم استأجارنا لقتلك وقبضنا الثمن!

يسدد الآخر له ضربة في ظهره، يثور ويضربهم بكل قوته يتراجعون خوفاً منه، ويطلق عليه أحدهم عدة أعيرة نارية فتصيبه، يجري منهم وهم خلفه يسددون له ضربات وطعنات حتى انزلقت قدماه في ممر مائي يشق الطريق.. يقع عبد السلام يهجمون عليه ويتم ربطه! وسحبه من أطرافه ليمرون به من على طريق خشبي حتى الطريق الآخر، يتم سحله حتى الوصول إلى ممر آخر، يمرون به حتى الوصول إلى الساحل ويلقون به في الماء، يجرفه التيار القوي ليسحبه داخل ماسورة ماء تمر من أسفل الطريق، بما أن حجمه ضخم، وقوي البنيان، لا يستطيع أن يمر جسده من هذه الماسورة.. منع مرور الماء داخلها. يستيقظ الفلاحون ويتحدثون فيما بينهم

- لقد سمعت أمس عدة أعيرة نارية..
- نعم وأنا أيضا.. خير يا رب خير!

يرون آثار سحل ودماء على الطريق..

- ما هذا؟
- أكيد كان هناك ذئب تم قتله أمس
- من الممكن.. لكن لماذا لا يوجد ماء بالترعة،

يتبقى يومان على سد الماء؟

- هذا صحيح هيا بنا لننظر ماذا حدث للماء..
- الساحل به ماء لكن لماذا لا يمر من الماسورة؟
- أكيد هناك شيء داخلها قد منع مرور الماء!
- أكيد.. هيا لنبلغ عن الأمر

يأتي الخبير..

- هناك شيء داخل الماسورة، سوف اتصل بالقسم لأرسال غطاس كي يدخل ويرى ما بداخلها.. ويربط هذا الشيء ويتم سحبة وأكيد هذا جزع شجرة أو نخله داخلها مع قوة السحب!

الغطاس

- يوجد جثة داخل الماسورة يا باشمهندس أرجو إبلاغ مركز الشرطة، إنها جثة رجل..

تأتي الشرطة والطبيب الشرعي.. ويكتشف أنه جثة الفقير لله وشهيد الكرامة عبد السلام.. الطيب

- هذا شيء لا يعقل.. هذا الرجل كان قوياً، وظل قلبه يعمل لأكثر من ثمان ساعات ولم يمت من الماء لأن جسده حجز الماء خلف رأسه فأتاح

له التنفس داخل الماسورة، والذي تسبب في وفاته النزف المستمر، يوجد على صدره طبقة دهن وعضلات منعت وصول الطلقات النارية إلى قلبه، ولم يتأثر جسده بالطعنات!

الضابط: من أصدقائه

الزوجة: فلان وفلان وخرج معهم أمس

الجناة: لا لم نره أمس ولم نخرج معه..

- أين كنتم أمس
- كنا نعمل عند الحاج فلان.. لم نقتل أحد بل كنا نعمل طوال الليل عند الرجل وبشهادة الشهود الذين كانوا معنا
- هل كانوا عندك في العمل.
- نعم هم وآخرون من العمال كانوا عندي ومعي طوال الليل، وكنا نعمل في الزريبة، لم يذهبوا ويتركوني حتى شروق الشمس وأنا معهم
- تحفظ القضية والفاعل مجهول

كل من اشترك في قلته مات بمرض خبيث دون استثناء أحد، بعدما تعذبوا عذابا شديدا خلال رحلة مرض طويلة.

معك حتى الموت

جلست الأم العجوز بجوار الشباك تراقب المارة، تنتظر أن ترى ابنها وهو آت من عمله، يحمل كيس الفاكهة مثل كل يوم، يطرق باب الشقة وهو يدندن ويغنى.. لكن.. تأخر الابن فاشتعلت النار في الفؤاد "القلق الخوف الحيرة"، تسأل نفسها:

- أين أنت يا ولدي؟

الوقت يمر والساعات ولم يأتِ الابن

ابنها لم يرغب في الزواج حتى يظل قريبا منها، تكفل برعايتها وشملها بحبه وعطفه حتى لا يأتي بإنسانة تعاملها بقسوة وتكون ثقيلة عليها، أراد أن يكون هو فقط من يخدم أمه.. الأم الكبيرة المريضة قلقة، مشتتة الفكر والعقل، تسأل نفسها:

- لماذا تأخرت ابني؟

تبكي وترفع يدها للسماء تناجي ربها بعودة الابن.. إذ بالباب يطرق، تستند على الأثاث والحوائط، وتسرع لتفتح الباب، تجد عدد من الشباب، يسلمون عليها فتسألهم:

- ماذا تريدون؟
- ابنك مصاب ويريد رؤيتك
- أين ولدي وماذا حدث له؟

تنزل معهم تستند على عكازها، تجد الابن ملقى على الأرض دمه يزحف من أسفله، تقترب من ابنها في دهشة تضع يدها برفق وحنان على صدره، تقول في حسرة وألم:

- ماذا حدث له، ولدي ماذا بك، لماذا لا تتكلم معي؟

ينظر إليها الابن ويقول:

- سامحيني يا أمي

يمسك بيدها، يلفظ أنفاسه الأخيرة، تنظر إلى الموجودين نظرة حزن وتسألهم:

- ماذا حدث لولدي؟
- ابنك رجل ومات شهيدا هو أرجل منا جميعاً، كان يشتري الفاكهة وإذ بفتاة تمر من أمامه وتحرش بها ولديين.. استغاثت الفتاة، لم تجد من يغيثها، أسرع إليها ابنك مدافعاً عنها وتشاجر معهم، حاول إبعاد المتحرشين والفتاه تصرخ، والكل يقف في صمت يترقبون ما يحدث، منهم من يضحك على استغاثة

الفتاة ومنهم من أدار ظهره لها، لكن ولدك لم يتركها فَريسة للحيوانات الكلاب الضالة تنهش في جسدها، دافع عنها ببسالة وقف بجانبها؛ فسدد له المتحرش ضربة بسكين حاد في ظهره فسقط على الأرض ينزف، طلب منا رؤيتك قبل أن يموت، قال أريد أن أرى أمي قبل أن أموت.

- نعم.. أعلم ماذا أراد ولدي

جلست بجوار ابنها تبكي ووضعت رأسها على صدره

- اعلم يا بنى أعلم... أبيت أنت تتركني وحدي وحرمت نفسك من كل شيء لتبقى معي، أعلم.. وأنا أيضا لن أتركك وحدك

خرجت الروح لربها، فارقت الأم الحياة، وأصبحا معا في القبر كما كانوا في الحياة، لكن الشاب بفعله ترك رسالة إلى قومه وأهله وجيرانه "الشجاعة، الكرامة، النخوة، الرجولة لا تشترى بمال والرجال عند الشدائد، وإعانة المظلوم على الظالم فريضه على كل إنسان عاقل، حتى لو كلفة الكثير، والحياة رخيصة بالنسبة للكرامة والشرف والعرض...

الجن العاشق

كسرت كل القيود، تخطت كل الحدود، أنكرت أن الله موجود، فتاتان.. أحداهما عابدة، زاهده والثانية.. متمردة ملحدة، الأولى يعشقها جن كافر متمرد، لكن لا يستطيع الإقتراب منها، لأن إيمانها قوي ثابت، الثانية يعشقها جن مؤمن عابد، يخاف الله، لا يستطيع الإقتراب منها، لخوفه من الله، المتمردة تقف أمام المرآه عارية، تنظر لمحاسنها، ومفاتنها، لا تذكر اسم الله، ترقص، تغني، ترتدي ملابس شبة عارية، لا تخجل من قول أو فعل، أختها تبكي وتصرخ في وجهها تقول لها:

- خافي الله.. خافي عذابه

تسخر وتضحك بصوت مرتفع، وتقول:

- أين هو الله؟

- موجود يا أختِي ويراكِي

- أنا لا أؤمن إلا بما أرى، أنا لا أراه أين هو؟

- موجود في كل شيء أمامك، بقدرته وعظمته في خلقك

تضحك وتتمايل..

- هل تصدقين هذا الهراء؟ تصدقين أن هناك عذاب، نار وجنة، ملائكة وشياطين، عيشي حياتك، استمتعي بها هذه هي الجنة
- الجنة موجودة، والنار والملائكة، والجن، والرب الغفار
- أين هم.. إن رأيتهم سأقتنع، أريد أن أرى هذا الجن؟ أين هم الملائكة؟ أريد أن أراهم حتى أقتنع
- الله أخفى عنا الجن حتى لا نجزع من مناظرهم، والملائكة من نور، وحتى يعيش الإنسان بحريته لا يرى من يراقبه ويسجل ما له وما عليه
- لن أصدق ولن أؤمن إلا بما أرى

يقف الجن المتمرد يستمتع بحديث محبوبته ويسجد لله ويقول:

- آمنت بك ربي

يقف الجن المؤمن منبهر بكلام حبيبته، ويقتنع بكلامها ويكفر مثلها محدثاً نفسه:

- الآن لا توجد قيود بيننا، نعم الجنة أن نعيش الحياة

دخلت المتمردة غرفتها بعد حديث شاق، وقفت أمام

المرآة تضحك بسخرية تقول:

- لقد جنت أختِي ولا تريد أن تقتنع بما أقول

يقترب منها الجن ويلمس جسدها العاري، تقفز فزعة، تقول:

- ماذا يحدث؟ هل سأصدق هذا الجنان؟

تلقي بنفسها على فراشها لتنام، وتغفو مسرعة

- يقترب منها الجني، يداعبها فتشعر بالنشوة والمتعة، كأنها تحلم بشاب جميل وسيم

يعاشرها معاشرة الأزواج، وبعد عدة أشهر، تشعر بتعب شديد، تذهب إلى الطبيب، يطلب منها فُحوصات وتحاليل، وحينما يتطلع على نتيجة التحاليل يقول لها:

- مبروك أنتِ حامل

تصرخ..

- كيف؟ لست متزوجة.. من أين؟

تلطم خدها، تبكي وتقول:

- يادكتور أنا لست متزوجة، ولم يقترب مني أحد

تبكي أختها وتقول:

- هذا من عمل الشيطان، وتوجهك الشيطاني، تصرخ:

- والله لم أفعل شيئا

تطلب من الطبيب الكشف عليها لتثبت لهما أنها عذراء، فيقول الطبيب: إنها عذراء.. يذهل الجميع، وتذهب للبيت في حيرة من أمرها من أين وكيف؟ تسمع ضحكات عالية ولا ترى أحد فتسأل:

- من هنا؟ من يضحك؟

يظهر أمامها الجن يقول لها:

- أنا... والحمل مني

يغشى عليها، بعدما تستفيق تجده جالسا أمامها؛ تصرخ:

- لا تصرخي حتى لا أغضب عليكِ، أنا أحبك وأعشقك كنت مؤمن بالله، اقتنعت بالحديث الذي دار بينك وبين أختكِ فكفرت حتى أكون بجانبك، وأنتِ الآن تحملين مولودي في أحشائك.

تنهار الفتاة، تلطم وجهها قائلة:

- أنا كفرت الجنِ

تلقي بنفسها من شرفتها لتسقط وتلفظ أنفاسها الأخيرة وهي تقول:

- نعم الله موجود، ليتني اقتنعت بكلامك يا أختي.

ليتني ألتقيه

تقابلا في ليلة ممطرة ليلة، غضبت فيها الطبيعة والسماء، رعد، وبرق، ورياح عاتية. تكاد الأجساد أن تطير. تكسرت أفرع الأشجار وخلا الطريق من المارة، والسيارات، تقف فتاة ينهمر المطر على جسدها النحيل تكاد أن تقع من شدة التعب والبرودة، نظر إليها شاب واقترب منها، كان يرتدي معطف جلدي فتركته وذهبت بعيده عنه، قال لها:

- لا تخافي أختاه..

خلع معطفه واعطاها إياه، رفضت.. فأصر أن ترتديه، وضعه على كتفيها وذهب بعيدا عنها، حتى تطمئن، وقف والمطر ينهمر على رأسه فتعجبت واقتربت منه وقالت له:

- ستبتل خذ معطفك

- لا ارتديه.. أنا أتحمل

شكرته.. وبعد وقت وصمت طويل، يزداد الجو سوءا سألها:

- أين وجهتك؟
- قريتي.. فأنا أعمل بالمدينة، وعلمت أن أمي مريضة؛ لم أتحمل وجئت لرؤيتها والاطمئنان عليها
- سبحان الله.. أنا أيضا أعيش بالمدينة، وأمي أيضا مريضة وجئت حتى اطمئن عليها، قريتي التي تلي قريتك؟

ووقفا والصمت بينهما ثم قال لها:

- أتثقين في

قالت بتردد وخجل:

- نعم.. فوقي ربي يراني ويراك ويعلم بحالي وحالك
- لا تخافي وتوكلي علي الله
- ونعم بالله
- الطريق طويل ولابد أن نتحرك الآن بدل ضياع الوقت ولا يوجد أمل في ظهور سيارات، تعالي نمشي حتى تدفء أجسامنا وإذا لحقت بنا سيارة سنركب
- لكن.....!
- ثقي بي هيا بنا

خلال الطريق.. تبادلا أطراف الحديث، والقصص في العمل وأمور كثيرة، وصل إلى أطراف قريتها سألها:

- أ هذه قريتك؟

- نعم سبحان الله لم أشعر بالطريق بالرغم من طوله، وهذا بيتي أمامنا، أشكرك جزيل الشكر.. خلعت المعطف وأعطته إياه، ودعها ومضى في طريقه، طرقت باب أسرتها ودخلت مسرعة من شدة الهلع، والخوف، والبرد القارس، ارتمت في أحضان أمها والأهل يسألونها:

- لماذا تأتين في هذا الجو ولماذا وجهك شاحب؟

قصت للأسرة ما حدث بينها وبين الشاب.. قالت أمها:

- ابن حلال وربنا أراد لكي الخير الحمد لله بوصولك سالمة..

قالت أختها: هل هو وسيم؟

- لا لكنه جميل القلب والطباع والأخلاق وحلو اللسان

- فكرته وسيم

أدارت ظهرها بتعجب، ابتسمت الفتاة وقالت في نفسها:

- ليتني التقيه مرة أخرى.

عشقتني جنية

يلقي بجسده على فراشه، يغمض عينيه؛ ليغوص في أحلامه مثل الليالي السابقة، يعيش حلما كأنه واقع آخر، يشعره بالمتعة واقع جميل، بل حلم جميل، يبعده عن الواقع المرير، يطرق باب حلمة، فيجد نفسه وسط حديقة كبيرة، بها أجمل أنواع الزهور، وفتيات جميلات، ترقصن، وتغنين، وتلعبن بين الزهور والأشجار، فينبهر من جمالهن، يتنهد ويدير وجهه وهو يقول:

- لست جميلا ولا غني حتى ألفت نظر أحداهن

فإذا بفتاة جميلة بائسة حزينة تجلس وحدها، يقترب منها وهو يتعجب ويسألها:

- لماذا تجلسين وحدك حزينة والكل سعيد؟

- هن أحببن

- وأنتِ؟

- أحببت لكن هو لا يحبني.. لا يراني

- الكل يحب ويسعد بحبه، وأنتِ تحبين وهو لا يدري، ليتني أجد من تحبني، إنسية أو جنية، المهم أن أجد هذا الحب

- أنا من بنات الجان وأحب إنسي

- كيف أنتِ جنية؟

- نعم..

تركته وذهبت، إذا به يتقلب على فراشة، فتلمس يده شيئا بجواره، يستيقظ مفزوعا، فيجد في فراشه فتاة جميلة مثل شمس تشع النور من وجهها، شعرها يغطي جسده مثل رداء من حرير، يفرك عينيه ويقول:

- ما حكاية هذه الأحلام، حلم داخل حلم

- لست في حلم بل حقيقة

تقترب منه وتقول له:

- انظر إليَّ..

ينظر إليها فيجدها فتاة الحلم الحزينة التي تحب الإنسي فيبتسم ويقول:

- إنه حلم..

يغطي وجهه كي ينام، إذا بها تمسك بيده وتقول:

- انظر إليَّ أنا حقيقة

- كيف؟
- ظهرت لك بعد قولك ليتني أجد من تحبني إنسية أو جنية وأنا أحبك أنت
- كيف!
- لأنك طيب القلب إنسان جميل ورقيق المشاعر كنت أستمع إليك وأنت تشكوا حالك فأحببتك
- لكنك جنية وأنا إنسي
- وما المانع اقترب مني

اقترب منها فضمته في صدرها ثم أخذته إلى عالمها فوجد نفسه في قصر كبير وهي بجانبه تبتسم وتقول:

- أنا لك لك الحب المال والجمال اترك الدنيا لبنات الدنيا بجمالهن الزائف والمال الملعون الذي يجـــعل كثيرون مثلك تعساء

النـــــدم

استيقظت مفزوعة على صراخ طفلها:

- ماذا بك بني الصغير؟ لابد أنك جائع

ذهبت لتحضر له وجبته، لم تجد طعام في بيتها:

- أين الطعام يا زوجي العزيز؟

- تناولته أنا وأصحابي

- كيف يا رجل طفلي يبكي من الجوع

- وماذا أفعل له فليبكي

- لا تكن قاسي القلب، اذهب واشترى بعض الطعام

- لا توجد نقود معي

- كيف؟ أين ذهبت؟ وفي أي شيء صرفتها؟ تعاطيت بها

أنت وأصحابك؟

- لا تسالي واغربي عن وجهي

يخرج ويترك أسرته الصغيرة دون طعام أو نقود.. وتقول الزوجة:

- أين أذهب يا رب؟ كيف أطلب من أمي أو إخوتي ما يسد جوعي وجوع صغيري؟ أنا تزوجته دون رضاهم

يطرق الباب صديق للزوج..

- من بالباب

- صديق

- أنه بالخارج

يمر الوقت وينسحب نور النهار في خجل، تمضي الساعات والزوجة تتضور جوعا هي وطفلها، يدخل الزوج وتسمع أصوات كثيرة وضحكات عالية، يدخل غرفتها ويقول لها:

- استيقظي لتعدي لنا الطعام

- أى طعام.. البيت خالي وطفلك يعاني من الجوع

- دبري أمرك

تصرخ في وجهه قائلة:

- حرام عليك لم نعرف للطعام طعم منذ الصباح وتقول لي دبري أمرك

يسمع صديقه الحديث، يدخل عليهما دون إذن أو حياء وهي ترتدي ملابس النوم، تخجل وتثور عليه:

- أخرج من بيتي، أنت وهؤلاء، خربتوا بيتي

يغضب الزوج ويضربها، يطردها هي وطفلها بالليل بملابس البيت العارية، تنقذها جارتها ببعض الملابس تذهب لبيت أهلها باكية شاكية، الاب يثور عليها غضبا ويضربها بكل قوة ويطردها من بيته هي وطفلها، تمشي في الطرقات لا تعرف أين تذهب ولمن؟ يزداد تعبها فتجلس تحت شجرة، يغشى عليها من شدة الإرهاق والتعب، تفيق إذ تجد نفسها بين أيادي عدد من الشباب يتناوبون عليها، تصرخ بكل قوة ماذا تفعلون وأين طفلي، يضحكون بسخرية ويقولون:

- هل تريدين طفلك؟
- نعم أرجوكم
- افعلي ما نريد حتى تحافظي على حياة طفلك
- حاضر لكن لا تمسوه بسوء

يقول أحدهم:

- تمام.. ستعيشين معي هنا، ولا تتفوهي بكلمة ولاتخرجين حتى لا يراكِ أحد، وإذا حدث سأقتلك أنتِ وطفلك وأطعمك للكلاب
- حاضر لن أخرج

تعيش معه ويتاجر بجسدها الجميل لغواة الحرام، تجلس حزينة وقد تعودت على ما يحدث، تبكي..

- ليتني سمعت كلام أبي حينما نصحني وقال لي أنه شاب لا يليق بك وسوف يلقي بكِ في الشارع مثل الكلبة وستتعبين معه، قلت:

- أحبه يا أبي ولن أتركه

فعلت فعلتي معه ووقعت في الخطيئة، تزوجته ثم حدث ما حدث، يدخل عليها الشاب الذي تعيش قائلا:

- معه ماذا بك؟

- لا شيء كنت أفكر في حالي وما جرى لي

- عيشي أفضل لكِ

- حاضر حعيش أفضل من ذل أبي وجوعي مع زوجي وتمر الأيام وتمرض مرضا شديدا، وقد ضاع منها طفلها، وعمرها، وصحتها، ولا تستطيع تلبية طلبات غواة الحرام، يدخل الشاب بفتاة أخري شديدة الجمال، صيده وفريسة جديدة، ينظر إليها ويقول:

- انتهي وقتك معنا

ويطردها خارج منزله ويهددها بالقتل لو تحدثت وهي

تصرخ وتقول:

- أريد طفلي

- إنه معنا رهينة، إذا حدث منك شيئا سيتم ذبحه ونشر صورك عارية

- لا ارجوك.. أريد طفلي

- قد بيع لأسرة غنية أفضل له. اذهبي لا أريد رويتك مرة أخري.. أو أرسل صورك لزوجك وأسرتك

تمشي هائمة في الطرقات سائلة نفسها:

- أين أذهب وهل سيقبلني المجتمع أو أسرتي وزوجي بعد ضياع شرفي وطفلي

تلقي بنفسها أمام ســيارة، تلفظ أنفاسها الأخيرة كافرة فاجرة.

حافي القدمين

تستيقظ الفتاة من نومها تبكي، يقول لها والدها:
- لماذا تبكين حبيبتي.
- أبي كنت أتمنى أن أحضر الحفلة المدرسية
- حبيبتي لا يوجد عندي ملابس أذهب بها، ولا يوجد حذاء أرتديه في قدمي بعدما تركت العمل، سامحيني حبيبتي

تصمت الفتاة وبداخلها حزن عندما رأت دموع الأب، تلقي بنفسها على سريرها منكبة على وجهها؛ لتخفي دموعها ولتخفي حزنها.. الأب يتألم من أجل ابنته الصغيرة.. يتجه إلى خزانة الملابس، يبحث عن شيء يرتديه ليخفف حزن ابنته الصغيرة فيجد بعض الملابس القديمة، يحاول أن يصلح ما بها من تمزق، ويخفي بعض العيوب بحمل حقيبة فارغة عليها، يبحث عن حذاء، لم يجد غير حذاء قديم ممزق، وعندما وضعة في قدمه تفكك ولا يصلح، فكر قليلا وقال لابنته، استيقظي حبيبتي سنذهب إلى الحفلة،

ارتدي ملابسك..

- حاضر يا ابتي هيا بنا نذهب.

- اسبقيني أنتي وانتظريني أسفل البيت..

نزل درجات السلم مسرعا، تقابل مع الجار وجده حافيا..

- أين تذهب حافيا

- أبحث عن ابنتي

- اطمئن تقف أسفل البيت

- الحمد لله

يقترب من ابنته وفي همس يقول لها:

- أمشي أمامي واذهبي إلى المدرسة وأنا سأكون خلفك أراقبك ...

- لماذا يا أبي؟

- حبيبتي انظري في قدمي، حافيتين، سوف أكذب كذبة صغيرة.. سأقول أنت تركتِ البيت وحدك وخرجت مسرعا للبحث عنكِ

- حاضر يا أبتي.

وعندما وصلت لباب المدرسة نظرت إليه.. أشار إليها بيده لتدخل، وعندما دخلت رقض مسرعا خلفها حتى

وصل إلى المدرسة مرهق قال له الحارس:

- أين تذهب؟

- أبحث عن ابنتي استيقظت من نومي لم أجدها بالبيت، أريد البحث عنها بالداخل

توجه للمنصة وطلب منهم النداء على ابنته والبحث عنها.

- أنا هنا أبتي..

يضمها في صدره بقوة قائلا:

- لماذا حبيبتي الصغيرة كنت خائف عليك كثيرا صغيرتي

- آسفة أبتي الحبيب

- شكرا لكم.

يقف بجانب ابنته لتستمتع بالغناء والألعاب البهلوانية وينظر لها ويبتسم، تقفز فرحا وترقص بسعادة، يأتي رجلاً يحمل بعض الهدايا للقليل من الأطفال.. يمينا ويسارا أين فلانة وأين فلان؟ تصفق الفتاة وهي سعيدة تنتظر لتأخذ واحدة من علب الهدايا، يعطي فتاة بجوارها ويقول:

- آسف نفذت الهدايا

ينظر الأب لابنته بحزن وألم، يقول في نفسه سامحيني ابنتي، يضمها بين ذراعيه ويخفي حزنه وألمه ويحجب دموعه، يحاول إشغال الطفلة بالغناء والرقص.. تنظر إليه وتقول:

- لماذا يا أبي لم يعطني واحدة؟

- حبيبتي هو اشتري لبعض الأطفال اليتامى التي تم اختيارهم من إدارة المدرسة.. وأنتِ لستِ يتيمة، وأنا موجود لكن ظروفي صعبة.. إن شاء الله عندما أجد عملا سوف أشتري لك هدية كبيرة جدا.

- صحيح أبي

- صحيح حبيبتي

- وفستان

- وفستان

- الله إني احبك كثيرا يا أبتي

تنتهي الحفلة ويخرج حاملاً طفلته وهي سعيدة وتقول:

- أبي لقد وعدتني عندما تجد عملا سوف تشتري لي هدية وفستان

- نعم حبيبتي لكن ادعي الله حتى أجد عملا..

- سوف أدعو الله لك يا أبي كثيرا.. لكـن لا تنسـى تشتري لي هدايا كثيرة، وقـبل الهـدايا والفسـتان شـتري حـذاء لك حـتى لا تكـذب مـرة أخـرى وتقول أنكَ نسيت حذائك في البيت بحجة أنك تبحث عني

- حاضر حبيبتي..

أثناء الحديث مع ابنته كان يستمع لهم موزع الهدايا وكانت معه المعلمة، نظر إليها ونظرت إليه وقالت:

- لم أعلم

ولم تتحدث، ولم تشتكِ الفتاة من قبل، حتى عند وقت تناول الوجبة كانت تجلس وحدها، لم أر معها أي طعام، عندما كنت أسالها أين طعامك تقول تناولته قبل الحصة.. يتركها الرجل ويمشي خلفهما يراقبهما من بعيد حتى وصلا إلى البيت، بعد عدة أيام يطرق الباب تسرع الفتاة لتفتح الباب.. تجد رجل يحمل هدايا وملابس ويقول لها:

- خذي حبيبتي هذه الأشياء..

ترفض وتنادي على أبيها.. يخرج ويسأله:

- من أنت؟

- أنا من كان يوزع الهدايا بالمدرسة، أنا آسف كثيرا وحزنت أن الهدايا نفزت مني وقتها، لكن اشتريت أجمل وأكبر منها بكثير لهذه الفتاة الجميلة المتميزة
- الله الله أشكرك كثيرا يا عمي
- هذا واجبي تجاه الأولاد الشطار حبيبتي، وأنت يا صديقي هل تعمل؟
- لا أعمل عاطل منذ فترة، وزوجتي تعمل عملا بسيطا يكفي الطعام فقط
- لا تحزن لك عمل عندي، من الصباح تعمل معي في مصنعي الصغير.

تهلل الفتاة وتقول:

- أ رأيت يا أبي لقد استجاب الله لدعوتي.. استجاب الله لدعوتي.. الحمد لله أنكَ يا رب تحبني واستجابت لدعوتي

العاملة

قبل شروق الشمس، تحمل طفلها الرضيع ابن بضعة أيام لتلحق بباقي العمال، تمشي على أقدامها أكثر من خمس كيلومترات حتي تصل إلي الأرض، تحزم طفلها على ظهرها في حر الصيف القاتل، تحمل أيضا بذور الأرض، وقطعة حديد، تغطي وتلف يدها بقطعة قماش، وبكل قوة تضربها بين الحصى، لتضع البذور بينها، تظل من طلوع الفجر لغروب الشمس على هذا الألم، تخرج منهكة القوة، تعاني الألم في جميع جسدها، وهي شابة صغيرة وجميلة، ينتهي يوم العمل، تذهب مسرعة إلى بيتها لتعد الطعام وتغسل الملابس، وتلقي بجسدها المرهق على فراشها؛ لتغفو قليلاً في غرفتها الصغيرة، إذ تجد من يقظها..

- استيقظي

إذ تجد ثلاث أو أربع رجال معه يدخلون غرفتها ويقول لهم:

- اجلسوا يا رجال

- الوقت متأخر يا رجل وأنا أصحو فجرا

- اذهبي وحضري لنا الطعام

يستمر السهر حتى الساعات الأولى من الصباح وهي تجلس مرهقة متعبة خائرة القوى، حزينة، إذا بهم التهموا كل الطعام، والشاي، والسكر، ويتبادلون الضحكات وهم يلعبون الورق، تنتهي السهرة، كلا منهم يذهب الي بيته، يشق ضوء الفجر، يكشف نوره الطريق، تحمل طفلها مسرعة إلى الحقل دون نوم أو طعام، وتتحمل يومها الشاق، يستمر هذا الحال أيام وشهور، وتصرخ في وجهه، حيث تم طرده من بيت أبيه، يسكن في بيتها، ميراثها من أبيها، هي تعمل لتطعمه وتطعم طفلها الصغير، لا يعجبه الحال، حيث منعته ومنعت أصدقائه من السهر في بيتها، يتعرف على امرأة مطلقة بقرية أخري، يأخذ أصحابه ليمضون سهراتهم معها، يسرقون لها ما لذ وطاب من المزارع من خضار وفاكهة، لتعد لهم الطعام، ويسرقون البط الذي يسبح بالترعة، تتحمل الزوجة المسكينة، لكن لا يهم.. هو بعيد هو وأصحاب السوء،

تستطيع أن تنام وتريح جسدها بعد عناء وشقاء يومها، تنجب بنت وولد، يصبح معها ثلاثة أبناء، يزيد الحمل على عاتقها، حمل ثقيل لا يتحمله بشر، هو لا يعمل، يسرق منها الطعام والمال الذي تجنيه من عملها الشاق، من جمع القطن وزراعة الحبوب، بل تمسك الفأس مثل الرجال لتشق بها الأرض وتخضرها، تحمل على رأسها رواسب المواشي، تأتي مرهقة متعبة، تبحث عن الطحين لتعد الطعام للأسرة لا تجده..

- أين الطحين يا زوجي..

لا يجيب الزوج، يسرق مقتنيات البيت، النحاس وغيره، تصرخ الزوجة في وجهه:

- اخرج من بيتي، لقد فاض الكيل منك، أطعمك وأطعم أبنائك، ولا تريد أن تتحمل مسؤولية، بل تسرق الطعام وكل شيء من البيت..

تستنجد بالأخ الأكبر، يجلس أمام بيتها ويمنعه من الدخول، يأتي بكثير من العقلاء والحكماء ليعود للبيت فترفض بشدة، ثم تذهب للمحكمة وتطلب الطلاق، فترفض المحكمة، ويعود مرة أخري مع تعهد منه أنه

سوف يعمل ويصلح من حاله، ولا يمضي سوى عدة شهور، ويعود لما كان عليه بل أسوأ بكثير.. تصرخ في وجه..

- لم يمر عليك غير ثلاثة شهور وتعود أسوأ مما كنت عليه، أخرج ولا تعد، وأولادي سأتكفل بتربيتهم، وأنت لا وجود لك في حياتي من اليوم..

يرفض بشدة، ثم تذهب مرة أخري إلي محكمة الأسرة، وتتوسل للقاضي حتى تحصل على حريتها، وتتنازل عن كل مستحقتها الشرعية مقابل أن يترك لها أطفالها لتعتني بهم وتعتني بتربيتهم، وبعد الانفصال تكتشف أنها تحمل طفلها الرابع، والكثير من الأهل والأصدقاء طالبوها بالإجهاض والخلاص منه، ترفض بشدة، وتحتفظ به، تعمل وهو داخلها أحشائها وبعد الوضع تعمل وهو على ظهرها، لا تتركه أرضا أبدا، الكل يطالبها بتركة ينام تحت الشجرة، ترفض خوفاً عليه، حيث رأت حوادث كثيرة، منها لدغات ثعابين للأطفال، أو ذئب يأكل طفل، أو الماشية تطحنه بحوافرها الحادة، فضلت أن تتحمل التعب والعناء

وهي تحمله، وتعمل وهو على ظهرها، ولا تتركه للهلاك.. تمر الأيام والسنون وهي في نفس الألم تتحمل من أجل صغارها طالبة من الله أن تراهم في أحسن حال، هو يتزوج من الأخرى التي كان يمضي معها السهرات.. تنجب طفلين، تتحكم به مثل دمية في يدها، أكتب لي البيت، أبنائك بعد موتك عددهم كتير وأخاف أن نطرد منه أنا وأولادي، يكتب لها البيت، أكتب لي قطعة الأرض، يكتب لها قطعة الأرض هي تفرق بين أولادها الاثنين، تحب واحد عن الآخر والكل يقول أنه ابن حرام حيث يكبر آخر أبناء الزوجة الأولى بثلاث شهور، يغمرها بحبه وعطفه مكره، تكتب له جزء من البيت، يحاول بخبثه أن يبث الوقيعة بين أبويه وأخيه الصغير ليتم إخراجه من البيت، يعود بحيلة لتكتب الزوجة له باقي البيت، ثم يبيع البيت ويترك أبويه للعراء فيحملان أمتعتهم البسيطة، يلجآن إلى غرفة في أرض صغيرة لهما بعيدا عن القرية، يشعران بالذل، يقول لها:

- خالفت أمر الله وحكمه وسمعت كلامك، حرمت أبنائي من حقهم الشرعي بجهلي وطاعتي لك؛ فانتقم

الله مني وأعزهم ورفع من قدرهم، وخسف بأولادك الأرض حيث من فضلتيه على أخيه الشقيق صار سارق هو وأبنائه، وحكم علينا بالذل والعار أمام أهل قريتي، حرمنا من بيتنا وصحتي، هذا انتقام الله منا لأننا ظلمنا الآخرين

تصادم قلوب

قمر ضئيل ينظر من خلف ستائر السماء شاطئ هادئ وبحر يعكس صورته كأنه يراقب الأرض ومن عليها.. يرسل لها قبس من نوره حتى ترى أين تذهب الأقدام الضائعة، اتجاهان وطريقان متعاكسان ممتدان لا نهاية لهما.

تمشي حافية على رماله، لا تشعر أين تأخذها قدميها.. تبعثر بأصابعها الرمال وهي ممسكة في طرف ثوبها، لا تنظر للأمام بل للرمال وهي تهرب من تحتها.. تتناثر في الإتجاه المعاكس..

يمشي عينه للسماء يتأمل في جمال القمر، ينظر له من بين ستائر بيضاء متقطعة.. يظهر تارة ويختفي تارة أخرى كأنه يداعبه في صمت ويحاول أن يخرج ما بداخله من حزن، ينظر للقمر ويبتسم بمرارة.. ويرفع له يده يلوح بها ممسك شيئاً ما بها كأنه يقول له

أتداعبني وأنا أحمل حزني بيدي.. ألست أنت من كنت شاهد علينا..

في الإتجاه المعاكس تتساقط من بين جفنيها قطرات الدمع على حبات الرمال وتأتي الموجه لتسرقها منها لتضمها بين أحضانها.. فتنظر للبحر تارة وللرمال تارة أخري وتحدثهم في صمت قاتل وعتاب.. ألستم أنتم من شاهدتم عهدنا.. وتضرب الموج بقدمها مرة أخرى والرمال ولا تشعر بمن حولها..

تصطدم به ويصطدم بها.. في نقطة إلتقاء يقع ما بيده ولا يشعر به، تقع هي على ظهرها فيمد يده ليساعدها ويتأسف لها ويطالبها بالسماح لم يراها.. هي أيضا تتاسف لم أراك..

يذهب في طريقة تجلس مكانها ممسكة بيدها حبات الرمال، وتلقي بها في وجه الموج، تكرر عدة مرات دون النظر للرمال. فتمسك يدها شيء ما كادت أن تلقي به لكن.. وجدته خطاب فوضعته في جيبها وارتمت على الرمال بظهرها تنظر للسماء، تبتسم عندما رأت القمر ينظر إليها من بين ستائر السماء، كأنه يعاكسها وهو مبتسم.. قالت كيف لم أرك وأرى جمالك هذه الليلة،

هل أنساني حزني صديقي.. يمضي الوقت سريعا.. تذهب لبيتها، تدخل غرفتها تخلع ملابسها، تأوي إلى فراشها وتغفو، تستيقظ في الصباح، تجد ملابسها ملقاة على الأرض، تحملها لتضعها في خزانتها، فتشعر بشيء تحت يدها يصدر خشخشة بسيطة، تخرجه تجد ما وجدته على الشاطيء ورقة مكتوب عليها بعض الكلمات.

(حبيبتي هل هان عليك حبنا؟ لماذا تريدين هجري وتحطيم فؤادي؟ ألم يشهد علينا شاطىء حبنا وبحرنا وليلنا وقمرنا؟ ألم تشهد عليه حبات الرمال وأمواج البحر؟ أين عهدك لي حينما تعاهدنا أن نظل أوفياء لهذا الحب؟ هل تتركين قلبا أحبك وداب في حبك من أجل الثراء والسيارات الفارهة؟!)

في أسفل الخطاب كتبت ردا عليه ليعود لصاحبة هذا الخطاب وهو:

(أن ينسى ما كان بيننا، أنا أجد السعادة في هذا، وأريد أن أعيش حياتي، واحتفظ بذكرياتك لنفسك، أريد أن أسكن قصرا، ويكن عندي خدما وسيارات، حبك سيجلب لي التعاسة والفقر، إنساني من فضلك)

تقرأ ما كتب، تنزل دمعتها على الورقة، تحاول أن تجففها

وتقول لنفسها:

- كنت أظلم الرجال جميعاً في شخص من أحببت وغدر بي وخان، لكني الآن أجد منهم من يعاني ويشعر بما أشعر به.

تمر الأيام وتذهب لتجلس على الشاطيء في مكان الاصطدام، وفي يدها الخطاب تعيد قراءته وتتأمل في معاني رد الأخرى وتتذكر رد حبيبها لها.

هما متساويان في نفس الرد ونفس القسوة والغدر والخيانة، فتاة جميلة وثرية ولا ينقصها شيء من متع الحياة وشاب فقير لا يملك غير قلب رقيق رومانسي يعطي الحب والحنان.

هي تتالم من هجر حبيبها الثري مثلما هو يتألم من هجر حبيبته الفقيرة مثله، كلاً منهم يبكي على حاله، نظرت من بعيد وجدت شيئا يقترب منها على الشاطيء، شخص ما يقترب فقالت:

- هل هو هذا الشخص صاحب هذا الخطاب؟ أتمنى من الله أن يكن هو..

تمشي في الإتجاه المعاكس ويعاد المشهد الاصطدام، لكن هي التي تريد أن تصطدم به حتى تعرف هو أم لا، تقع أرضاً وتقول مبتسمة:

- مرة أخرى!!

يمد يده لها ويقول:

- هل أنتِ من كنتِ على الشاطيء من قبل واصطدمنا ببعضنا؟

- هل أنتِ؟

- نعم..

- ألم تجدين شيئا وقع مني؟

- مثل؟

- خطاب

- لا لم أجد شيئا، من الممكن أن تكون قد ابتلعته الأمواج..

نظر لها وابتسم فتبسمت له..

- أنا طريقي من هذا الاتجاه هل تريد مرافقتي؟ لا أريد أن أمشي وحدي فأنا أخاف والليلة مظلمة ولا يوجد قمر.

- ومن أي شيء تخافين

- الظلام أو أن يأتي أحد يتحرش بي
- أنتِ لستِ خائفة مني أن أفعل هذا؟
- لا أنا أشعر بالأمان بجانبك، تقابلنا من قبل وحدنا ولم يصدر منك شيء سيء، هذا ما جعلني أطلب منك مرافقتي حتى أصل إلى البيت فقد أخذتني قدماي بعيدا عنه.
- موافق هيا بنا.

الصمت مستمر بينهما، هي تمشي في حياء وهو في خجل

- لقد اقتربت من بيتي هذا هو

تسلم عليه، وتنظر في وجه بابتسامة رقيقة، وقلبها مملوء بالفرح والسعادة، تقف أمام بيتها في ضوء المصباح، ينظر إليها ثم ينظر أسفل قدمه..

- ماذا ألا تريد أن تصافحني؟

يمد يده وينظر في وجهها في همس، سبحان من سواك وأبدع في صنعك وبهاك، قمر سبحان الله.

- ماذا بك أين ذهبت؟
- لا لا شيء استودعك الله.

- أشكرك على مرافقتي وأرجو أن نلتقي مرة أخرى، فأنا كل ليلة أمشي على الشاطئ، أرجوك أن تأتي فأنا أعشق الشاطيء، ولا أريد أن أكون وحيدة، وأن نصبح أصدقاء فأنت خير من يكون صديق لي..

- إن شاء الله استودعك الله.

- مع السلامة.

هنا تبدأ القلوب تمد يدها لبعضها، وتواسي بعضها بعضاً، ويتلاشي جزء من أحزانها، يظهر بصيص أمل في أن تختفي الأحزان إلى الأبد، في ليلة أخرى تقابلا:

-كيف حالك؟

- الحمد لله كنت خائفة جداً جداً.

- من أي شيء؟

- ألا تأتي

- أنا أيضاً أحب البحر والشاطئ، فلي معه ذكريات وماضي

- أنا أيضاً صديقي، هيا احكي لي، أخرج ما بداخلك أنا أيضاً أريد أن أحكي وأخرج ما بداخلي

بدأ يقص عليها قصته.. فتلمع عينيها بالدموع حزنا من قصته، تمسك بيده وتسقط دمعة منها على يده فيقول:

- أتبكين؟

- نعم.. أنا أعرف جزء من قصتك بعدما وجدت الخطاب وقصتي أيضاً مؤلمة وأخفيت عنك الخطاب حتى تنسى حزنك، وتمنيت أن نلتقي حتى أراك وأعرف من أنت، وجدتك إنسانا رقيق القلب بل رجلا شهما وأمين فأنسيتني ماضي كاد أن يقتلني حزنا، فهي تركتك من أجل المال والسيارات، ولأنك فقير اشترت سعادة زائفة، فما أجمل من سعادة الحب وراحة القلوب، ستندم هي فما هي إلا أيام معدودة تتمتع بها ثم تشعر بالوحدة والتعاسة، فما صنع المال يوما حبا ولا سعادة، ولا حصد المال يوما حبا ولا سعادة ولا راحة بال، وأنا أفتح لك قلبي لتسكن به وتنسيني ما فات

- لكن أنتِ تعرفين أن سبب فراقي الفقر وأنا وأنت..

- لا تتحدث.. أفهمك، هي ذهبت لتبحث عن المال والمال أتاك دون بحث ولا طمع، فأنا ومالي بين يديك ولن أجد من يحافظ عليه مثلك حبيبي ويحافظ على قلبي الجريح ويداويه وينسيه ماضيه

- حبيبك

- نعم حبيبي كان في اعتقادي أنه لا حب بعد حبي، ولن أستطيع أن أحب مرة أخري، وجدت أنه كان وهما وحبا كاذبا وصدق قلبي كلاماته الجميلة المعسولة واستمعت له دون تفكير، فكان أول من قال لي أحبك؛ فتحركت مشاعري دون إدراك ولكن الآن فهمت الحب الحقيقي، هو الوفاء والثقة وتآلف القلوب وتقارب الأرواح وحب النفس للنفس وأن الحب ليس كلمة من عدة أحرف أو ابتسامة زائفة

- أنا أيضاً عندما جعلتيني أنظر إليك في اللقاء الأول وجدت أمامي ملاكا، ووجه كله نور، وحسن، وجمال في الخلق، والطبع، شعرت بقلبي يخفق كأنه لم يدق من قبل ولم ير نساءً من قبل، فتجمعت نساء العالم كله في شخصك، لكن

شعرت بالخوف من فارق الطبقات أو أن أجرح قلبي مرة أخرى

- لا.. لا تخاف، فأنا من أقرر مصيري وأعطاني أبي حرية الرأي والتعبير والإختيار، سوف نقابله الآن

- الآن كيف

- نعم الآن هيا، لا تخجل، أنا معك وبجانبك، لا أريد ضياع الوقت كفى ما ضاع

تدخل بيتها..

- أبي.. أبي.. أبي..

تحضنه وتقبله..

- أنا سعيدة جدا يا أبي تتذكر صاحب الخطاب

- نعم

- قابلته يا أبي وأنا أحبه أحبه إنه رائع عوضني الله يا أبي أشكرك يا رب

- أسعد الله قلبك ابنتي الحبيبة الغالية لكن لا أريدك أن تتسرعي كما حدث من قبل

- لا يا أبي أنت تعرف من هو وقصصت لك كل ما حدث بيننا

- نعم ابنتي لا يوجد أشخاص مثله إلا قليل جداً وصعب وجودهم في هذا الزمن
- هيا قابله
- أدخليه حبيبتي
- حبيبي أبي يريدك.. هذا هو أبي
- مرحباً بني أنا أسف فأنا مريض لا أستطيع الحركة، سمعت عنك الكثير من ابنتي وأنا سعيد لسعادتها اتركينا قليلاً ابنتي العزيزة
- حاضر أبي
- إنصت إلي جيداً لا أملك في الدنيا غيرها، لا أشعر بسعادة المال والدنيا ولكني أشعر بقلبها، كنت أتمنى أن أشتري لها السعادة بكل مالي، فأتت السعادة دون مقابل فأنت أخرجتها من حزن كاد يفتك بها وكدت أخسرها، وما قالته عنك يكفيني الشهامة والأمانة وحفاظك عليها وهي وحدها معك، فالآخر تحرش بها كثيرا ولكنها كانت تحبه وتتغاضى عن سوء أخلاقه الحمد لله وجدت إنسانا مثلها يحمى ابنتي منه، نعم تألمت كثيرا لكن أفضل من دمار حياتها مع إنسان لا يشعر

بالحب والمسوؤلية وأنا لا يوجد عندي أبناء رجال فهل تقبل أن تكون ابن لي وزوجا لابنتي وتعاهدني أمام الله أن تحافظ عليها وعلى سعادتها فأنا أثق بك بني؟

- لكن

- فكر بني

- عمي أنا فقير

- نعم فقير مال، وغني بحبك لها وأخلاقك وأمانتك وهذا يكفيني، المال سيصير مالك ومالها، أنت خير من استأمنه عليه وعلى ابنتي

- عمي هذا كثيرا علي

- أرجوك أريدها سعيدة

- حاضر.. أعاهدك الله أن أكون مخلصا لحبها وقلبها محفظا على مالها وأكون لها سندا ومعينا وأن أكون لها أخا وصديقا وحبيبا

- وأبا

- أنت موجود ربنا يحفظك لنا ويبارك في عمرك

- أشكرك ابني أشكرك

الفهرس

الإهداء.....3
التعريف بالكاتب.....4
المقدمة.....5
عشقاك.....11
حكاية فلاح.....17
الحارس.....26
انتقام عفريت.....35
ابن المحطة.....45
ومازال الفاعل مجهول.....51
معك حتى الموت.....58
الجن العاشق.....61
ليتني ألتقيه.....65
عشقتني جنية.....68
الندم.....71
حافي القدمين.....76
العاملة.....82
تصادم قلوب.....87